أهمية النقوش الكتابية العربية عند الرحالة بن جبير في رحلته المعروفة بـ تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار دراسة في المضمون

د/صالح فتحي صالح حسين

مدرس الآثار الإسلاميـــة ـ كلية الآداب- جامعة المنيا

ملخص البحث:

هدف البحث هو التعرف على مضمون النقوش الكتابية العربية التي قرأها وسجلها بن جبير أثناء رحلته إلى مكة المكرمة لتأدية فريضة الحج، حيث تنوعت الأماكن التي نزل بها ابن جبير أثناء ذهابه وعودته من الأراضي الحجازية لتأدية فريضة الحج ما بين مكة والمدينة والعراق وبلاد الشام، كما تنوعت هذه الكتابات من حيث المضمون ومن حيث العمائر التي تضمنت هذه الكتابات.

المقدمة:

يعد أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير بن محمد بن جبير بن سعيد بن جبير ابن سعيد بن محمد بن مروان بن عبد السلام بن مروان بن عبد السلام بن جبير الكناني [1]، الأندلسي، الشاطبي، البلنسي، من أشهر رحالة القرن 6هـ/ 12م، وقد ولد في بلنسية سنة 540هـ/ 1145م [2]، وسمع العلوم من أبيه في شاطبة. وعلى بن أبي العيش المقرئ، وأجاز له أبو الوليد بن الدباغ، وعني بالآداب فبلغ فيها الغاية، وتقدم في صناعة النظم والنثر، ونال بذلك دنيا عريضة[3]. دخل في خدمة أبي سعيد ابن عبد المؤمن صاحب غرناطة وملك الموحدين في وظيفة كاتم سره، فاستوطن من وقتئذ غرناطة [4].

قام ابن جبير بثلاث رحلات إلى الشرق ودون أخبار الرحلة الأولى في شبه مذكرات يومية تُعرف باسم " تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار" ولعله كتبها حول سنة 582هـ/ 1186م [5]. وكان انفصاله، رحمه الله تعالى، من غرناطة بقصد الرحلة المشرقية يوم الخميس الثامن من شوال سنة 578هـ/ الثالث من فبراير سنة 1182م، ووصل الإسكندرية يوم السبت التاسع والعشرين من ذي القعدة الحرام من السنة، ونزل البر الإسكندراني في الحادي والثلاثين، وحج رحمه الله تعالى، وتجول في البلاد ودخل الشام، والعراق، والجزيرة وغيرها [6]، وقد استغرقت هذه الرحلة أكثر من ثلاث سنوات. وقد وصف في هذه الرحلة كل ما مر به من مدن وما شاهد من عجائب البلدان وغرائب المشاهد وبدائع المصانع، والأحوال السياسية والاجتماعية والأخلاقية، وعني عناية خاصة بوصف النواحي الدينية والمساجد والمشاهد وقبور الصحابة ومناسك الحج، ومجالس الوعظ والمستشفيات والمارستانات، ووصف كذلك الكنائس والمعابد والقلاع، ووصفه لكل ذلك دقيق مُسهب يدل على دقة ملاحظته وسعة علمه. وما يهمنا هنا هو وصفه للنقوش الكتابية التي كان يقرأها على مختلف العمائر التي شاهدها أثناء ذهابه وعودته من الرحلة الحجازية. وقد تحول في آخر رحلة قام بها إلى مصر والإسكندرية فأقام يحدث هنالك إلى أن توفى بها يوم الأربعاء التاسع والعشرين من شعبان سنة أربع عشر وستمائة [7]. وله أربع وسبعون سنة [8].

DOI:10.12816/0038036

(1) عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والاندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، دراسة تحليلية مقارنة، الرياض، 1996م، ص97.

(2) أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني، رحلة بن جبير، دار صادر بيروت، د.ت، ص5.

(3) شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الدمشقي (ت 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه وعلق عليه محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، دمشق،1991م، المجلد السابع، ص110.

(4) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص5.

(5) زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت ـ لبنان، 1981م، ص70.

(6) أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ـ لبنان، 1988م، ج2، ص385.

(7) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974م، المجلد الثاني، ص239.

(8) جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت 874هـ)، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، 1992م، ج6، ص195.

مراحل رحلة بن جبير والنقوش التى قرأها

بداية سنتحدث عن مراحل رحلة ابن جبير حتى نتعرف علي الأماكن التي مر بها ابن جبير وقرأ بها النقوش علي عمائرها المختلفة والأماكن الهامة التي غفل عن قراءة النقوش الكتابية علي منشأتها المعمارية المختلفة علي الرغم من وجود نقوش كتابية بها أثبتتها كتب التاريخ بالإضافة إلى الشواهد المادية، نجد أن ابن جبير خرج من غرناطة، للنية الحجازية المباركة، أول ساعة من يوم الخميس الثامن لشوال سنة 578هـ/ وبموافقة اليوم الثالث لشهر فبراير سنة 1182م. وبعد أن اجتاز بعض المراحل التي يطول ذكرها في هذا الموضع وصل إلى مدينة سبتة[1] فألفي بها مركباً للروم الجنويين مقلعاً إلى الإسكندرية غدوة يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شوال سنة 578هـ/ 23 فبراير 1182م فركب فيه[2]. وفي يوم السبت 29 من ذي القعدة سنة 578هـ / 26 من مارس سنة 1182م، وصل إلى مدينة الإسكندرية، وكان نزوله بها بفندق يُعرف بفندق الصفار [3]. الذي لم يتحدث عنه بن جبير على الرغم من نزوله فيه، ولو تحدث عنه لأعطانا فكرة عن هذه الفنادق وما تحتويه من نقوش كتابية في فترة مهمة من فترات التاريخ الإسلامي، وعلى الأخص مصر الإيوبية.

وقام ابن جبير بوصف عمائر الإسكندرية، كما ذكر أن من مناقب الإسكندرية المدارس والمحارس [4] الموضوعة فيه لأهل الطب والتعبد، يفدون من الأقطار النائية فيلقي كل واحد منهم مسكناً يأوي إليه ومدرساً يعلمه الفن الذي يُريد تعلمه وإجراء يقوم به في جميع أحواله. وذكر أنه من اتساع اعتناء السلطان (صلاح الدين الأيوبي) بهؤلاء الغرباء الطارئين أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك، ونصب لهم مارستاناً لعلاج من مرض منهم. كما وصف ابن جبير الإسكندرية بأنها أكثر بلاد الله مساجد، حتى إن تقدير الناس لها يُطفف، فمنهم المكثر والمقلل، فالمكثر ينتهي في تقديره إلى أثنى عشر ألف مسجد، والمقلل ما دون ذلك لا ينضبط، فمنهم من يقول ثمانية آلاف ومنهم من يقول غير ذلك. وبالجملة فهي كثيرة جداً تكون منها الأربعة والخمسة في موضع وربما كانت مُركبة [5]، وكلها بأئمة مرتبين من قبل السلطان.

وعلى الرغم مما شاهده ابن جبير في مدينة الإسكندرية، فإنه لم يذكر لنا وصفا واحداً لمسجد مع كثرة هذه المساجد أو حمام أو بيمارستان أو غيرها من المنشأت المعمارية من الناحية الأثرية، وبالتالي لم يذكر لنا نصاً واحداً وفوت علينا فرصة التعرف علي شكل ومضمون الكتابات العربية التي كانت تُزين هذه المنشأت وخاصة في العصر الأيوبي. واقتصر وصفه في الإسكندرية على منارها فقط، وربما يكون السبب في ذلك قصر المدة التي قضاها بالإسكندرية حيث أنه لم يمكث فيها سوى أسبوع واحد، حيث نزلها في يوم السبت 29 من ذي القعدة سنة 578هـ / 26 من مارس سنة 1182م، وغادرها صبيحة يوم الأحد 8 ذي الحجة سنة 578هـ/ 3 ابريل سنة 1182م، واكتفي بما سمعه من الناس شفاهية، وخاصة في أعداد المساجد بها، وبعد مغادرته لمدينة الإسكندرية، وبعد عدة مراحل وصل يوم الأربعاء 11 ذي الحجة سنة 578هـ/ 6 ابريل سنة 1182م إلى مدينة قليوب على ستة أميال من القاهرة، وذكر أن بها مسجد جامع كبير حفيل البنيان دون أن يصفه ثم بعده المنية، ثم منها إلى القاهرة، وهي مدينة السلطان الحفيلة المتسعة، ثم منها إلى مصر المحروسة (الفسطاط). وكان دخوله فيها أثر صلاة العصر من يوم الأربعاء، وهو 11 من ذي الحجة سنة 578هـ /6 من أبريل سنة 1182م. وكان نزوله في مصر بفندق أبي الثناء في زقاق القناديل بمقربة من جامع عمرو بن العاص، رضي الله عنه، في حجرة كبيرة على باب الفندق المذكور. ووصف ابن جبير بها مشهد سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما، كما وصف القرافة وقال إنها من عجائب الدنيا لما تحتويه من مشاهد الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وأهل البيت رضوان الله عليهم، والصحابة والتابعين والعلماء والزهاد، والأولياء ذوي الكرامات الشهيرة والأنباء الغريبة، وذكر منها قبور بعض أبناء الأنبياء، ومشاهد أهل البيت رضي الله عنهم أجمعين، يطول ذكرها، وذكر أن على كل واحد منها بناء حفيل [6].

وذكر ابن جبير أن أسماء أصحاب هذه المشاهد المباركة إنما تلقاها من التواريخ الثابتة عليها أي شواهد القبور، مع تواتر الأخبار بصحة ذلك مما يدل على وجود نقوش كتابية عربية على هذه المشاهد غفل عنها ابن جبير، ولو أوردها لعرفنا ماهية الكتابات على هذه المشاهد في تلك الفترة المهمة من تاريخ مصر الإسلامية. ثم قام بذكر مشاهد بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومشاهد التابعين والأئمة والعلماء والزهاد والأولياء المشتهرين بالكرامات رضي الله عنهم أجمعين، وذكر أن المُقيد يبرأ من القطع بصحة ذلك، وإنما رسم من أسمائهم ما وجده مرسوماً في تواريخها (شواهد القبور)، آى أن هذه المشاهد كانت تحتوي أيضاً على نقوش كتابية غفل أيضاً عنها ابن جبير. ثم ذكر مشهد الإمام الشافعي رضي الله عنه، وذكر أنه من المشاهد العظيمة احتفالاً واتساعاً. وأنه بُني بإزائه مدرسة لم يُعمر بهذه البلاد مثلها لا أوسع

---

(1) سبتة مدينة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر وهي على بر البربر تقابل جزيرة الاندلس على طرف الزقاق تميزت بحصانتها. شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله ياقوت الحموي (ت626هـ)، معجم البلدان، مطبعة السعادة، مصر، 1906م، المجلد الخامس، ص26، 27.

(2) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص9.

(3) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص12.

(4) المحارس: الواحد محرس: مأوى مخصص للدارسين والزهاد والمسافرين والفقراء. أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، هامش 2، ص15.

(5) مركبة: أي مسجد ومدرسة وغيرهما. أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، هامش 4، ص17.

(6) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص 18-20.

مساحة ولا أحفل بناء، يُخيل لمن يطوف عليها أنها بلد مستقل بذاته، بإزائها الحمام. إلى غير ذلك من مرافقها. وذكر أيضاً أنه من العجب أن القرافة كلها مساجد مبنية ومشاهد معمورة يأوي إليها الغرباء والعلماء والصلحاء والفقراء دون أن يصفها لنا. وذكر أيضاً أن مما شاهده بالقاهرة أربعة جوامع حفيلة البنيان أنيقة الصنعة إلى مساجد عدة دون أيضاً أن يصفها. ثم وصف قلعة القاهرة دون أن يشير إلى أي نصوص كتابية بها. ثم وصف مارستاناً بمدينة القاهرة، وذكر: أنه من مفاخر السلطان صلاح الدين الأيوبي، وذكر: أنه قصراً من القصور الرائقة حسناً واتساعاً، ثم ذكر: مسجد أحمد بن طولون وقال: أنه بين مصر والقاهرة ومنسوب إلى أبي العباس أحمد بن طولون، وهو من الجوامع العتيقة الأنيقة الصنعة الواسعة البنيان [1].

وعند ذكره لمآثر السلطان صلاح الدين الأيوبي ذكر: أن من مآثره الكريمة المعربة عن اعتنائه بأمور المسلمين كافة أنه أمر بعمارة محاضر (كتاتيب) ألزمها معلمين لكتاب الله، عز وجل، يعلمون أبناء الفقراء والأيتام خاصة وتجري عليهم الجراية الكافية لهم. ومن مفاخر هذا السلطان وآثاره الباقية المنفعة للمسلمين القناطر التي شرع في بنائها بغربي مصر، وعلى مقدار سبعة أميال منها، وهي نحو الأربعين قوساً من أكبر ما يكون من قسي القناطر. ثم ذكر جامع عمرو بن العاص ذكراً عابراً على الرغم من أنه كان مقيماً بجواره، حيث قال وبمدينة مصر المسجد الجامع المنسوب لعمرو بن العاص رضي الله عنه. وله أيضاً بالإسكندرية جامع آخر هو مصلى الجمعة للمالكيين [2]. ثم وصف روضة النيل بالجيزة ثم مقياس النيل بها، وظل ابن جبير بمصر حتى صبيحة يوم الأحد السادس من محرم لسنة 579هـ/ واحد من مايو 1182م، حيث كان انفصاله من مصر وصعوده في النيل على الصعيد قاصداً إلى قوص[3]، وبعد عدة مراحل وصل إلى مدينة إخميم، وذكر أن فيها مسجد ذي النون المصري، ومسجد داود أحد الصالحين المشتهرين بالخير والزهادة وهما مسجدان موسومان بالبركة، دخل إليهما متبركاً بالصلاة فيهما، وذلك يوم السبت 19 محرم المذكور لسنة 579هـ/ 14 مايو 1182م. وبهذه المدينة المذكورة آثار ومصانع من بنيان القبط وكنائس معمورة. وبعد أن اجتاز بعض المواضع التي يطول ذكرها في هذا الموضع وصل إلى قوص يوم الخميس 24 محرم المؤرخ، سنة 579هـ/ وهو 19 من مايو سنة 1182م [4]، وكان نزوله فيها بفندق يُنسب لابن العجمي بالمنية، ثم مر ابن جبير علي عدة مراحل أخرى منها مدينة عيذاب [5]، حيث ظل بها ثلاثة وعشرين يوماً [6]. وهي السبيل التي من مصر على عقبة أيلة [7] إلى المدينة المقدسة [8].

وفي يوم الإثنين 25 ربيع الأول سنة 579هـ/ وهو 18 من يوليه 1182م، ركب ابن جبير جلبة [9] للعبور إلى جدة. وفي ظهر يوم الثلاثاء 4 من شهر ربيع الآخر سنة 579هـ / وهو 26 من شهر يوليو سنة 1182م، كان نزوله بجدة. ثم قام ابن جبير بوصف مدينة جدة وذكر بيوتها، وفنادقها المبنية بالحجارة والطين وفي أعلاها بيوت من الأخصاص كالغرف، ولها سطوح يُستراح فيها بالليل من أذى الحر، وذكر أن بها مسجدان ينسبان لسيدنا عمر بن الخطاب وصف أحدهما بأن له ساريتان من خشب الآبنوس [10]. وفي عشي يوم الثلاثاء 11 من ربيع الآخر سنة 579هـ/ وهو 2 من شهر أغسطس سنة 1182م، كان انفصاله من جدة، وأسري تلك الليلة إلى أن وصل القرين [11] مع طلوع الشمس. فأقام يوم الأربعاء المذكور مريحاً بالقرين. فلما حان العشي راح منه محرماً بعمرة، فأسري ليلته تلك، فكان وصوله مع الفجر إلى قريب الحرم. ودخل مكة، في الساعة الأولى من يوم الخميس 13 لربيع الآخر سنة 579هـ/ 4 أغسطس سنة 1182م، على باب العمرة [12]. وقام ابن جبير بوصف المسجد الحرام والكعبة المشرفة وقرأ به العديد من النقوش الكتابية العربية على النحو التالي:

---

(1) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص 23-26.
(2) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص 27-29.
(3) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص32.
(4) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص 35-40.
(5) عيذاب: بلدة على شاطئ البحر الأحمر، كانت مرسى للمراكب الذاهبة إلى بلاد الحجاز. تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (ت 832هـ)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1986م، ج6، هامش ص229.
(6) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص45، 46.
(7) أيله: بالفتح مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، قيل هي آخر الحجاز وأول الشام، وهي مدينة اليهود الذين اعتدوا في السبت، وإليها يجتاز حجاج مصر. صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت 739هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق على محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت - لبنان، 1992م، المجلد الأول، ص138.
(8) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص49.
(9) الجلبة: نوع من المراكب عرفها بن جبير: أنها ملفقة الإنشاء لا يُستعمل فيها مسمار البتة. وإنما هي مخيطة بأمراس من القنبار وهو قشر جوز النارجيل يدرسونه إلى أن يتخيط ويفتلون منه أمراساً يخيطون بها المراكب ويخللونها بدسر من عيدان النخل. أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص47.
(10) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص 50-53.
(11) القرين: هذا الموضع هو منزل الحاج ومحط رحالهم، ومنه يحرمون وبه يريحون اليوم الذي يصبحونه. فإذا كان في عشية رفعوا وأسروا ليلتهم وصبحوا الحرم الشريف. أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير،57.
(12) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص58.

النقوش الكتابية العربية التي قرأها ابن جبير في مكة المكرمة

نلاحظ أن الجزء الأساسي في رحلة ابن جبير إنما هو وصف مكة والمسجد الحرام ومناسك الحج وزيارة المدينة، فقد استغرق هذا كله أكثر من ثلث الكتاب، ووفق فيه الرحالة لتدوين أخبار وملاحظات ذات شأن عظيم في دراسة التاريخ والآثار الإسلامية. ولاعجب فقد أقام بمكة حول ستة شهور [1]. وعند وصف بن جبير لتخطيط المسجد الحرام ذكر أنه يطيف به ثلاث بلاطات علي سوار من الرخام منتظمة كأنها بلاط واحد، وذكر بعدها أن للخليفة المهدي [2] محمد بن أبى جعفر المنصور العباسي في توسعة المسجد الحرام والتأنق في بنائه آثار كريمة. وأنه وجد في الجهة التي تلي من الغرب إلى الشمال مكتوباً في أعلى جدار البلاط: " أمر عبد الله [3] محمد المهدي أمير المؤمنين [4]، أصلحه الله، بتوسعة المسجد الحرام، لحاج بيت الله وعماره، في سنة سبع وستين ومئة [5]". (783م).

يُستدل من النص الذي قرأه بن جبير أن الخليفة محمد المهدي (158- 169هـ/ 774-785م) أمر بتوسعة المسجد الحرام حتى يستوعب جموع حجاج بيت الله وعماره، وحدد لنا تاريخ الانتهاء من عمل التوسعة وهو 167هـ/ 783م[6]، وتؤكد لنا المصادر التاريخية صدق ما قرأه بن جبير حيث أنه لما حج الخليفة محمد المهدي في سنة 164هـ/ 780م، أمر بعمارة المسجد الحرام من أعلاه، وأن يُشترى الدور التي في ذلك الموضع ليوسع بها المسجد الحرام، وعين قاضي مكة محمد بن عبد الرحمن بن هشام الأوقصي المخزومي[7] للأشراف علي العمارة، وأنها انتهت في عام 167هـ/ 783م [8].

وعند تحليلنا للنص نجد أنه يبدأ بصيغة أمر ثم لقب عبد الله الذي كان لقباً عاماً للخلفاء للدلالة على التواضع والخضوع لله عز وجل، ثم اسم الخليفة العباسي الثالث وهو محمد بن أبي جعفر المنصور، متبوعاً بلقبي المهدي، أمير المؤمنين وليس بلقب خليفة، ثم عبارة دعائية وهى "أصلحه الله" أي الدعاء له بالصلاح، وهنا نتعجب من هذه العبارة الدعائية التي ظهرت بقلة في النقوش الكتابية في العصر العباسي، وتكاد تكون خاصة بالخليفة المهدي، وبالرجوع إلى المصادر التاريخية نجد أن الخليفة المهدي كان جواداً ممدحاً محبباً إلى الرعية، كريماً سخيا حليماً[9]، اتسم عهده بإشاعة

---

(1) زكى محمد حسن، الرحالة المسلمون، ص79.

(2) المهدي: وهو اللقب الذي اتخذه محمد بن عبد الله المنصور العباسي، الهاشمي، القرشي، أبو عبد الله: الخليفة العباسي الثالث. لقب بالمهدي رجاء أن يكون الموعود به في الأحاديث فلم يكن به، وإن اشتركا في الاسم فقد افترقا في الفعل. وقد لقبه بهذا اللقب أبوه الخليفة المنصور. وكان إطلاق هذا اللقب علي محمد أحد الأساليب التي اتبعها المنصور لإعلاء شأن ابنه كولي للعهد. وقد لعب لقب المهدي دوراً كبيراً في تاريخ الإسلام الديني السياسي منذ بداياته الأولى. لاسيما في تاريخ الشيعة، فقد كان أبرز مميزات العقيدة الشيعية، وأولها ظهوراً. وربما كان ظهور هذا اللقب بمدلولاته العقدية من آثار دخول الموالي من مختلف الأديان والمعتقدات في الإسلام، وانضوائهم بخاصة تحت لواء الشيعة. أما أصل كلمة المهدي فهي تُعني الشخص الذي هداه الله إلى الطريق الحق. أوهداه الله إلى الإيمان. وقد استعمل في الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة. وكان لقب المهدي من أوائل النعوت ظهوراً في النقوش الآثرية، وعلى النقود، فقد ورد في سكة بتاريخ سنة 146 من الري، وفي أخرى ضربت بتاريخ سنة 152هـ بأران، وذلك أثناء ولاية المهدي للعهد. ثم ورد النعت أيضاً أثناء خلافته في نص تشييد بتاريخ شهر المحرم سنة 158هـ على قطعة من الرخام في عسقلان، وفي طراز قطعة من النسيج بتاريخ سنة 159هـ من مصر، وفي سكة من بخاري، وفي نص تشييد بتاريخ سنة 167هـ، على أحد الأعمدة خارج باب الصفا. حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر والتوزيع، 1989م، ص514، 515، فؤاد صالح السيد، معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي والإسلامي، دار الغلم للملايين، بيروت-لبنان، 1990م، ص316، فاروق عمر، ألقاب الخلفاء العباسيين ودلالتها الدينية-السياسية، ص387، 388.

(3) عبد الله: لقب عام للخلفاء، إذ يُكتب في نعت الخليفة في المكاتبات ونحوها، وأول من تلقب به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فكان يكتب في مكاتباته " من عبد الله عمر" ولزم ذلك من بعده من الخلفاء. ابى العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشا في صناعة الأنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914م، ج5، ص476.

(4) أمير المؤمنين: وهو لقب عام للخلفاء. وأول من لقب به منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أثناء خلافته. ثم استقر ذلك لقباً على كل من ولي الخلافة بعده أو ادعاها. ابى العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشا، ج5، ص475، 476

(5) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص68.

(6) هذه هى التوسعة الثانية في المسجد الحرام، أما التوسعة الأولى فكانت عام 161هـ/ 777م. حيث أنه لما حج المهدي قام بتجريد الكعبة، وأمر بهدم المسجد الحرام، وزاد فيه الزيادة الأولى. أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، 2003م، ج1، ص367، 433.

(7) هو محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن يحي بن هشام بن العاص ابن هشام بن المغيرة، كان على قضاء مكة، لما أمر المهدي بشراء الدور، لتوسعة المسجد عام حج، وهو عام ستين ومائة، وذكره الفاكهي عند ذكره فيمن ولى قضاء مكة من أهلها من قريش، قال إنه قضى للمهدى، وخلف عنده أموال المسجد الحرام، ليعمر المسجد ففعل، ومات في خلافة أمير المؤمنين موسى الهادي. أبي عبد الله محمد بن اسحق ابن العباس الفاكهي المكي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، الطبعة الثانية، 1994م، ج3، ص186، تقي الدين محمد، العقد الثمين، ج2، ص120، 121

(8) أبي الوليد محمد، أخبار مكة، ج1، ص602.

(9) ابى محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، الامامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، تحقيق على شيري، دار الأضواء، بيروت - لبنان،1990م، ج2، ص204.

العدل والانصاف، كان محبباً إلى الخاص والعام لأنه افتتح عهده بالنظر في المظالم والكف عن القتل وأمن الخائف، وانصاف المظلوم، وبسط يده في الإعطاء [1].

وأورد لنا المقريزي نقلاً عن الفاكهي [2]، في كتابه أخبار مكة رواية تدل على أنها من العبارات الدعائية التي كانت تُقال للمهدي عادة، حيث ذكر أن الفاكهي رأي بعض كسوات الكعبة، وعليها نصوص مصنوعة من عهد المهدي، قال: رأيت كسوة من قباطي مصر مكتوباً عليها: بسم الله، بركة من الله، مما آمر به عبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين- أصلحه الله-محمد بن سليمان أن يُصنع في طراز تنيس كسوة الكعبة على يد الخطاب بن مسلمة عامله سنة 159[3]. وأورد لنا المسعودي رواية أخرى تدل على أنها من العبارات الدعائية التي كانت تُقال للمهدي حتى وهو ولياً للعهد منها "أن الخليفة أبو جعفر المنصور كان قد ضم شخص يُسمى الشرقي بن القطامي إلى المهدي، حين خلفه بالري، فقال له المهدي ذات ليلة: ياشرقي أرح قلبي بشيء يلهيه، قال: "نعم أصلح الله الأمير" وذكر له قصة يطول ذكرها[4].

ثم بعد هذه العبارة الدعائية نجد السبب أو المناسبة التي من أجلها كتب هذا النص وهو توسعة المسجد الحرام، لحاج بيت الله وعماره. ثم ينتهي النص بتاريخ الانتهاء من هذه التوسعة التي تُعد التوسعة الثانية للخليفة المهدي لبيت الله الحرام حتى يستوعب جموع حجاج بيت الله وعماره وهو في سنة سبع وستين ومئة " وهو ما أكدته لنا المصادر التاريخية.

وعند وصف بن جبير لأبواب المسجد الحرام ذكر: وباب الصفا يقابل الركن الأسود بالبلاط الذي من الجنوب إلى الشرق، وفي وسط البلاط المقابل للباب ساريتان مقابلتان الركن المذكور فيهما منقوش: " أمر عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين، أصلحه الله، بإقامة هاتين الأسطوانتين علماً لطريق رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى الصفا ليتأسى به حاج بيت الله وعماره، على يدي يقطين بن موسى [5] وإبراهيم بن صالح [6]، في سنة سبع وستين ومئة [7]".

يُفهم من نص ابن جبير أن الخليفة المهدي أمر بإقامة أسطوانتين أي عمودين ليكونا علماً لطريق رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى الصفا ليتأسى به حاج بيت الله وعماره، على يدي يقطين بن موسى وإبراهيم بن صالح، في سنة سبع وستين ومئة". وقد ذكر الأزرقي أنه لما أراد المهدي توسعة المسجد الحرام وجعل الكعبة في منتصفه أثناء حجه في عام 164هـ، أرسل إلى الشام وإلى مصر فنقلت أساطين الرخام في السفن حتى أنزلت بجدة، ثم نقلت على العجل من جدة إلى مكة، وأنه تم توسعة المسجد الحرام عام 167هـ[8]، فدخلت فيه دور كثيرة، وكان المتولي للبناء يقطين بن موسى، فبقي البناء إلى أن توفى المهدي [9]. ويؤكد ذلك اليعقوبي بقوله: وصيرت الكعبة في الوسط ..... وفيه من الأساطين مما حُمل في البحر من مصر أربعمائة وأربع وثمانون اسطوانة، طول كل اسطوانة عشر أذرع، وبني العلمين الذين يسعى بينهما وبين الصفا

---

(1) أبى الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان،2005م، ج3، ص259.

(2) جميع النصوص التي أوردها المقريزي نقلاً عن الفاكهي توجد في الجزء الأول من مخطوط أخبار مكة للفاكهي وهو مفقود. سليمان صالح كمال، امارة الحج في العصر العباسي من سنة 132 إلى سنة 247هـ، مخطوط رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1988م، ص219.

(3) تقي الدين أحمد بن على المقريزي، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية،2000م، هامش ص74. إبراهيم حلمي، كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج د.ت، ص39

(4) أبى الحسن علي، مروج الذهب، ص265.

(5) يقطين بن موسى، ويقال له يقطين الأمير وهو أحد كبار الدولة العباسية، وأحد الدعاة الى دولتهم، وكان داهية ذا رأي كان موكلاً بأمر الحرمين أمره المهدي سنة 161هـ ببناء القصور في طريق مكة، وأمر بالزيادة في قصور أبي العباس، وأمر باتخاذ المصانع في كل منهل، وبتجديد الأميال والبرك، وحفر الركايا مع المصانع فلم يزل يعمل في ذلك إلى سنة إحدى وسبعين ومائة، مقدار عشر سنين، حتى صارت طريق الحجاز من العراق من أرفق الطرقات وآمنها وأطيبها. وفي سنة 167هـ ولاه المهدي زيادة كثيرة في المسجد الحرام، فدخل في ذلك دور كثيرة، فلم يزل في عمارة ذلك حتى مات المهدي. أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية د.ت، ج8، ص136، 165. جمال الدين أبي المحاسن، النجوم الزاهرة، ج2، ص66.

(6) إبراهيم بن صالح هو إبراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي العباسي أمير مصر. وليها من قبل ابن عمه المهدي علي الصلاة والخراج معاً، وقدم إلى مصر لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة خمس وستين ومائة ونزل العسكر على عادة أمراء مصر في الدولة العباسية، ودام ابراهيم بمصر إلى أن عزله المهدي في سابع ذي الحجة سنة 167هـ، فكانت ولايته علي مصر ثلاث سنين إلا أياماً، وصادره المهدي بعد عزله وأخذ منه ومن عماله ثلاثمائة وخمسين ألف دينار، ثم رضي عنه بعد ذلك وولاه غير مصر، ثم أعاده الرشيد إلى عمل مصر ثانياً في سنة ست وسبعين ومائة، وجمع له الرشيد بين الصلاة والخراج، فلم تطل أيامه ومات لثلاث خلون من شعبان سنة ست وسبعين ومائة. كان إبراهيم من وجوه بني العباس، وولي الأعمال الجليلة مثل دمشق وفلسطين ومصر للمهدي أولاً، ثم ولي الجزيرة لموسى الهادي، وكان خيراً ديناً ممدحاً. عينه الخليفة المهدي مشرفاً مع يقطين بن موسى علي عمارة المسجد الحرام. جمال الدين أبي المحاسن، النجوم الزاهرة، ج2، ص62، 106، 107.

(7) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص68.

(8) أبي الوليد محمد، أخبار مكة، ج1، ص610، 611.

(9) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت 733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2004م، ج22، ص82.

والمروة [1]، وبينهما من الذرع مائة واثنتا عشرة ذراعاً. وأكثر هذه الأساطين مجلوب من بلاد إخميم من أعمال مصر ويقال: إن أكثر رخام المسجد الحرام مجلوب منه [2].

وقد وجِدت بعض النقوش العربية التي تؤكد صدق رواية ابن جبير علي بعض الاسطوانات القائمة في الناحية الجنوبية من المسجد الحرام على مدخل باب الصفا، وهي تمثل لوحة تأسيسية لعمارة الخليفة المهدي للأسطوانتين لتكوناً علماً لطريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي كان يسلكه إلى الصفا بعد انتهائه من الطواف ليقتدي به حجاج بيت الله الحرام، ويُعتبر هذا النقش من أقدم النقوش الأثرية بالمسجد الحرام. والنص الأول الموجود على العمود الأول من أعمدة باب النبي صلى الله عليه وسلم مما يلي جهة الصحن، ويقع كذلك شرقي دكة المؤذنين كتب بخط كوفي بارز خالياً من النقط ومطلي باللون الفضي مما أكسبه كثيراً من الوضوح، ومقاسه 50 x100 سم وعدد أسطره خمسة عشر سطراً وهو كالتالي:

1- بسم الله الرحمن الرحيم
2- أمر عبد الله محمد
3- المهدي أمير المؤمنين
4- حفظه الله بإقامة هاتين
5- الأسطوانتين علماً لطريق
6- رسول الله صلى الله عليه
7- وسلم إلى الصفا ليتأسى
8- به حاج بيت الله وعماره
9- أعظم الله أجر المهدي
10- أمير المؤمنين وأطال بقاه
11- على يدي يقطين بن
12- موسى وإبراهيم
13- بن صالح في سنة
14- سبع وستين ومائة
15- عمل أهل الكوفة.

نلاحظ هنا اختلاف بسيط بين ما قرأه ابن جبير، وما هو موجود في النقش، فنجد ابن جبير لم يذكر البسملة في السطر الأول، وقرأ العبارة الدعائية الموجودة في السطر الرابع أصلحه الله بدلاً من حفظه الله، ونسي ذكر العبارة الدعائية في السطري التاسع والعاشر "أعظم الله أجر المهدي أمير المؤمنين وأطال بقاه"، كما نسي السطر الخامس عشر والأخير "عمل أهل الكوفة"[3].

وعند تحليلنا للنص نجد أنه يتشابه مع النص السابق حيث يبدأ بعبارة " أمر ثم لقب عبد الله ثم اسم الخليفة العباسي محمد المهدي ثم يتبعه لقب أمير المؤمنين، متبوعاً بالعبارة الدعائية أصلحه الله، ثم الشئ الذي أمر بعمله وهو إقامة أسطوانتين ثم سبب اقامتهما لتكون علماً لطريق رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى الصفا ليتأسى به حاج بيت الله وعماره، ثم ذكر المشرفين على العمل وهما يقطين بن موسى، وإبراهيم بن صالح ثم ينتهي النص بتاريخ الانتهاء من العمل وهو سنة سبع وستين ومئة ".

وقال أيضاً وألفيت منقوشاً على سارية خارج باب الصفا تقابل السارية الواحدة من اللتين أقيمتا علماً [4] لطريق النبي صلى الله عليه وسلم، إلى الصفا داخل الحرم المتقدمتي الذكر: "أمر عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين، أصلحه الله تعالى [5]، بتوسعة المسجد الحرام مما يلي باب الصفا، لتكون الكعبة في وسط المسجد، في سنة سبع وستين ومئة". فدل ذلك المكتوب على أن الكعبة المقدسة في وسط المسجد، وكان يُظن بها الانحراف إلى جهة باب الصفا.

(1) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح الأخباري، تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغري، النجف، 1960م، ج3، ص128، 129.
(2) عبد الله الغازي المكي الحنفي، إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، تحقيق، عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، 1940م، ج1، ص678.
(3) فوزية حسين مطر، تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف إلى نهاية العصر العباسي الأول، ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية الدراسات العليا، قسم التاريخ الإسلامي، 1980م، ص 188، 189.
(4) بنى المهدي هذين العلمين في المسعى. شهاب الدين أحمد، نهاية الأرب، ج22، ص84.
(5) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص85.

وقد اكدت لنا المصادر التاريخية أنه لما حج المهدي سنة أربع وستين ومائة، شاهد الكعبة المعظمة بعد توسعته الأولى للمسجد الحرام عام 161هـ أنها قد صارت إلى الجهة الجنوبية، حيث قد اتسع المسجد الحرام من الجهة الشرقية، والشمالية، والغربية، وشيئاً وجيزاً من الجهة الجنوبية، ولم يتسع المسجد الحرام من الجهة الجنوبية كما ينبغي، وذلك لأن الجهة الجنوبية كانت مجرى سيل وادي إبراهيم، وكان خلف المجرى المذكور بيوت الناس[1]، وأحب المهدي أن تكون الكعبة متوسطة في المسجد الحرام، فدعا المهندسين فشاورهم في ذلك، فقدروا ذلك فإذا هو لا يستوي لهم من أجل الوادي والسيل السابق ذكرهما، وذكروا كثرة المؤونة. فقال المهدي: لابد لي من أن أوسعه، حتى أوسط الكعبة في المسجد على كل حال، ولو أنفقت فيه ما في بيوت الأموال. وعظمت في ذلك نيته واشتدت رغبته، ثم خرج المهدي إلى العراق وخلف أموالاً عظيمة، فاشتروا من الناس دورهم، وأرغبوهم، فكان ثمن ما دخل في المسجد من ذلك كل ذراع مكسر بخمسة وعشرين ديناراً، وعن كل ذراع دخل في الوادي مكسراً خمسة عشر ديناراً، وأرسل إلى مصر وإلى الشام، فنُقلت له أساطين الرخام في السفن حتى انزلت جدة، ثم نُقلت على العجل من جدة إلى مكة، ووضعوا أيديهم فهدموا الدور وبنوا المسجد، وذلك في سنة سبع وستين ومائة [2].

وعند تحليلنا للنص السابق نجد أنه يبدأ بعبارة "أمر ثم لقب عبد الله ثم اسم الخليفة العباسي محمد متبوعاً بألقابه المهدي، أمير المؤمنين، ثم عبارة دعائية أصلحه الله تعالى، ثم الشئ المأمور به وهو توسعة المسجد الحرام مما يلي باب الصفا، وسبب توسعة المسجد الحرام لتكون الكعبة في وسط المسجد، وينتهي النص بتاريخ الانتهاء من التوسعة وهو في سنة سبع وستين ومئة".

وتحت ذلك النقش في أسفل السارية منقوش أيضاً: " أمر عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين، أصلحه الله، بتوسعة الباب الأوسط، الذي بين هاتين الأسطوانتين، وهو طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى الصفا"[3].

ذكر كل من الأزرقي والفاكهي عند وصفهما لأساطين المسجد الحرام: ومما يلي بطن المسجد من شق الوادي أسطوانتان منقوشتان مكتوبتان بالذهب إلى أنصافهما، وهما على باب الصفا [4]، واسطوانتان أيضاً على باب الصفا بحذائهما مما يلي السوق منقوشتان مكتوبتان بالذهب بينهما طريق النبي صلى الله عليه وسلم من المسجد إلى الصفا [5] وعند وصف الأزرقي والفاكهي لأبواب المسجد الحرام ذكرا: وفي المسجد الحرام من الأبواب ثلاثة وعشرون باباً. منها في الشق الذي يلي المسعى وهو الشرقي خمسة أبواب. وفي الشق الذي يلي الوادي، وهو شق المسجد اليماني، سبعة أبواب. وذكر منهم الباب الثالث وهو باب الصفا [6]، وذكر أن فيه أربع أساطين عليها خمس طاقات (فتحات)، طول كل طاقة في السماء ثلاثة عشر ذراعاً ونصف. والطاق الأوسط أربعة عشر ذراعاً. ووجوه الطاقات وداخلها منقوش بالفسيفساء واسطوانتا الطاق الأوسط أيضاً منها منقوشتان مكتوب عليهما بالذهب [7]. ولم يذكر كل من الأزرقي والفاكهي نصوص النقوش الكتابية الموجودة على الاسطوانتين، ومن هنا تأتي أهمية ابن جبير في قرأته لهذه النصوص الكتابية. وقد أنشأ هذا الباب الخليفة محمد المهدي العباسي في عمارته الثانية [8].

وقد وجدت بعض الشواهد المادية التي تؤكد صدق ما قرأه ابن بطوطة، وهو عبارة عن نص كتابي محفور حفراً بارزاً على عمود من الرخام مكتوب بالخط الكوفي ويقع في نفس البائكة التي فيها النص السابق في الجنوب منه وعدد أسطره تسعة أسطر ومقاسه 70× 47سم.

1- بسم الله الرحمن الرحيم

---

(1) حسين عبد الله باسلامه، تاريخ عمارة المسجد الحرام، المطبعة الشرقية بجدة، الطبعة الأولى، 1954م، ص31.

(2) أبي عبد الله محمد، أخبار مكة، ج2، ص172، 173.

(3) أبو الحسين محمد رحلة بن جبير، ص86.

(4) باب الصفا: عُرف هذا الباب بعدة أسماء في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) واشتهر في القرنين الثاني والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين) باسم باب بني مخزوم حيث إنهم كانوا يسكنون في تلك الجهة وأصبح يُعرف بهم، وذكره الفقهاء بهذا الاسم في كتب المناسك. أما بالنسبة لتسميته بباب الصفا فقد بدأ يُعرف بذلك بعد ظهور الإسلام، وخروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصفا من الفتحة التي كانت بين الدور، والتي تؤدي إلى الصفا وكانت تُعرف بباب بني مخزوم. ومنذ ذلك الحين حدد طريق النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة أسطوانتين (عمودين من الرخام) أمر المهدي بإقامتهما علماً لطريق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصفا بعد انتهائه من الطواف ليتأسى به الحجاج والمعتمرون. وسُجلت كتابات على أعمدة رخامية لاتزال باقية تذكر ذلك. طه عبد القادر عمارة، تاريخ عمارة وأسماء أبواب المسجد الحرام حتى نهاية العصر العثماني، مركز أبحاث الحج، جامعة أم القرى، د.ت، ص49، 50.

(5) أبي الوليد محمد، أخبار مكة، ج1، ص616، أبي عبد الله محمد، أخبار مكة، ج2، ص185.

(6) تم عمل هذا الباب في التوسعة الثانية، ويُعد هذا الباب أكبر أبواب المسجد الحرام اتساعاً نظراً لأهميته في أداء المناسك حيث يخرج منه إلى المسعى بين الصفا والمروة وقد جعله المهدي لذلك خمسة أطواق (عقود) محمولة على أربعة أساطين (أعمدة رخامية) يعلو كل منها كرسي (ملبن-وسادة) من خشب ساج ذو زخارف مذهبة. ويبلغ ارتفاع العقد الأوسط (6.72م) في حين يبلغ ارتفاع العقود الأربعة التي تقع على جانبيه (6.48م)، ويبلغ اتساع الباب (17.28م). طه عبد القادر عمارة، تاريخ عمارة وأسماء أبواب المسجد الحرام،41، 50.

(7) أبي الوليد محمد، أخبار مكة، ج1، ص620، 622، 623، أبي عبد الله محمد، أخبار مكة، ج2، ص190.

(8) حسين عبد الله باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص121.

2- أمر عبد الله المهدي محمد
3- أمير المؤمنين أصلحه الله
4- بتوسعة الباب الأوسط
5- الذي بين هاتين الاسطوانتين
6- وهو طريق رسول الله
7- صلى الله عليه وسلم
8- إلى الصفا
9- عمل أهل الكوفة [1]

ونلاحظ اختلاف بسيط في النقش السابق وبين ما قرأه ابن جبير فلم يذكر ابن جبير البسملة في السطر الأول، ولا عبارة عمل أهل الكوفة في السطر التاسع.

وعند تحليلنا للنص نجد أنه يبدأ بصيغة أمر ثم لقب عبد الله ثم اسم الخليفة العباسي محمد متبوعاً بألقابه، المهدي، أمير المؤمنين، متبوعة بالعبارة الدعائية التي تأتي دائما مع الخليفة محمد المهدي أصلحه الله، ثم مناسبة كتابة النقش وهو توسعة الباب الأوسط، الذي بين هاتين الأسطوانتين، وهو طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى الصفا.

وفي أعلى السارية التي تليها منقوش أيضاً: "أمر عبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين، أصلحه الله، بصرف الوادي إلى مجراه على عهد أبيه إبراهيم، صلى الله عليه وسلم، وتوسعته بالرحاب التي حول المسجد الحرام لحاج بيت الله وعماره"[2].

ذكرنا عند ذكرنا لتوسعة المهدي الثانية للمسجد الحرام أنه دعا المهندسين، وشاورهم في ذلك، فقدروا ذلك، وإذا هو لا يستوى لهم من أجل الوادي والسيل، وقالوا: إن وادي مكة له أسيال عارمة، وهو واد حدور، ونحن نخاف إن حولنا الوادي من مكانه أن لا ينصرف لنا علي ما تريد مع ازوراره من الدور والمساكن ما يكثر فيه المؤونة، ولعله أن لا يتم، فقال لهم المهدي لابد لي من أوسعه حتى أوسط الكعبة في المسجد علي كل حال، فكان ابتداؤهم فيما ذكروا من أعلى المسجد من باب بني هاشم الذي يستقبل الوادي والبطحاء، ووسع ذلك الباب وجعل بإزائه من أسفل المسجد مستقبله باباً آخر، فقال المهندسون: إن جاء سيل عظيم فدخل المسجد خرج من ذلك الباب، ولم يحمل في شق الكعبة، ثم حرفوا الوادي في موضع الدور حتى لقوا به الوادي القديم بباب أجياد الكبير بفم خط الحزامية [3]، والوادي المذكور هو الوادي المنسوب لإبراهيم[4]، النبي صلى الله عليه وسلم، ومجراه على باب الصفا، وكان السيل قد خالف مجراه فكان يأتي على المسيل بين الصفا والمروة ويدخل الحرم، فكان مدة مده بالأمطار يُطاف حول الكعبة سبحاً، فأمر المهدي، رحمه الله، برفع موضع في أعلي البلد يسمى رأس الردم، فمتى جاء السيل عرج عن ذلك الردم إلى مجراه واستمر على باب إبراهيم إلى الموضع الذي يُسمى المسفلة ويخرج عن البلد ولا يجري الماء فيه إلا عند نزول ديم المطر الكثير[5].

وعلى الرغم من ذكر الأزرقي والفاكهي للردوم التي ردمت بمكة[6] فإنهما لم يذكرا هذا الردم. مما يؤكد أهمية معلومة ابن جبير عن هذا الردم الذي عمل في عهد المهدي.

وعند تحليلنا للنص نجد أنه أن يتشابه مع النصوص الخاصة بالمهدى في المسجد الحرام، إلا أنه لا ينتهي بتاريخ انتهاء العمل.

وعند وصف ابن جبير لباب الكعبة ذكر: وفي باب الكعبة المقدسة نقش بالذهب رائق الخط طويل الحروف غليظها، يرتمي الأبصار برونقه وحسنه، مكتوب فيه: " مما أمر بعمله عبد الله وخليفته الإمام أبو عبد الله محمد المقتفي[7]

(1) فوزية حسين، تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف، ص193.
(2) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص86.
(3) أبي الوليد محمد، أخبار مكة، ج1، ص609-611، أبي عبد الله محمد، أخبار مكة، ج2، ص172، 173.
(4) أصدق ما يُطلق على وادي إبراهيم هو موضع سيل مكة، فإنه يأتي السيل الكبير من جهة عرفة شرقاً ماراً بمزدلفة فمنى فمكة، ثم يخرج من مكة إلى جهة الغرب إلى الشميسي في طريق جدة، وربما نزل السيل إلى جده وصب في البحر الأحمر إذا كان عظيماً. محمد طاهر الكردي، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، تحقيق عبد الملك بن دهيش، دار خضر، بيروت-لبنان، 2000م، ج1، ص 524.
(5) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص58.
(6) أبي الوليد محمد، أخبار مكة، ج2، 758، أبي عبد الله محمد، أخبار مكة، ج3، ص112-114.
(7) المقتفي لأمر الله : أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله، ولد في الثامن و العشرين من ربيع الأول سنة تسع و ثمانين و أربعمائة و أمه حبشية و بويع له بالخلافة عند خلع ابن أخيه و عمره أربعون سنة و سبب تلقيبه بالمقتفي أنه رأى في منامه قبل أن يستخلف بستة أيام رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو يقول له : سيصل هذا الأمر إليك فاقتف لأمر الله فلقب المقتفي لأمر الله، وكان المقتفي عظيم الهيبة، كريماً= =عادلاً حسن السيرة، عاقلاً، وهو أول من استبد بالعراق منفرداً عن السلطان السلجوقي، وأول خليفة تمكن من الخلافة والحكم على جنده، قليل المثال في الخلفاء، فكان لا يجري أمر بدولته إلا بتوقيعه. دامت خلافته أربعاً وعشرين سنة وبضعة أشهر. وتوفي في شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسماية، وهو ابن ست وستين سنة. عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي

لأمر الله أمير المؤمنين، صلى الله عليه وعلى الأئمة آبائه الطاهرين، وخلد ميراث النبوة لديه، وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم الدين، في سنة خمسين وخمس مئة" في صفحتي البابين على هذا النص المذكور [1].

يوضح نص ابن جبير أن الخليفة العباسي المقتفي (555-530هـ/ 1136-1160م) أمر بعمل باب جديد للكعبة المشرفة عام 550هـ، وتؤكد لنا المصادر التاريخية تجديد الخليفة المقتفي لباب الكعبة، ولكنها اختلفت في تاريخ ذلك، فذكر أبو الفدا سنة خمسمائة وإحدى وخمسين، وأنه عمله مصفحاً بالذهب والفضة، وأنه قلع الباب العتيق وعمل لنفسه منه تابوتاً، يُدفن فيه [2]، ونقل عنه ذلك محمد بن أحمد الصباغ [3]، بينما انفرد كل من السيوطي والقرماني بذكر أن ذلك تم في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة [4]. بينما ذكر الفاسي أن وزير المقتفي الجواد [5] عمل باباً للكعبة في سنة خمسين وخمسمائة. وركب فيها سنة إحدى وخمسين وخمسمائة. وكتب عليه اسم المقتفي، وحلاه حلية حسنة [6]. ويؤيده في ذلك النجم عمر بن فهد حيث ذكر وفيها (أي سنة خمسين وخمسمائة) جدد الوزير جمال الدين المعروف بالجواد وزير صاحب الموصل باباً للكعبة الشريفة وحلاه حلية حسنة بالفضة، وطلاه بالذهب، بحيث أنه كان يستوقف الأبصار بحسن حليته، وكتب عليه اسم الخليفة المقتفي لأمر الله أبي عبد الله، وورد أمر الخليفة ببغداد أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله إلى أمير مكة قاسم بن هاشم أنه يُركب الباب للكعبة، وأن يأخذ أمير الحرمين حلية الباب القديم- وكانت زنة خمسة عشر ألف درهم- ويسير إليه خشب الباب القديم ليجعله تابوتاً يُدفن فيه عند موته. فركب الباب على الكعبة في السنة التي بعد هذه "[7].

بينما ذكر ابن الاثير ذلك في حوادث سنة 552هـ حيث قال: في هذه السنة، قلع الخليفة المقتفي لأمر الله باب الكعبة، وعمل عوضاً عنه باباً مصفحاً بالنقرة المذهبة، وعمل لنفسه من الباب الأول تابوتاً يُدفن فيه إذا مات [8]، ويؤيده في ذلك النويري [9] بينما ذكر محمد طاهر الكردي أن الوزير جمال الدين المذكور هو الذي قام بعمل باب للكعبة مصفحاً بالذهب والفضة باسم الخليفة المقتفي لأمر الله سنة 551هـ، وقد جعل الوزير جمال الدين باب الكعبة القديم بعد قلعه تابوتاً لنفسه يُدفن فيه وليس للخليفة المقتفي. ولكنه ذكر بعدها أن الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله، عمل باباً للكعبة بالذهب والفضة بواسطة الوزير جمال الدين المتقدم ذكره وذلك سنة 551هـ [10].

وعند تحليلنا للنص نجد أنه يبدأ بعبارة مما أمر بعمله ثم يأتي بعدها ألقاب الخليفة العباسي محمد المقتفي مثل عبد الله، خليفه مضافاً إلى الله عز وجل بصيغة خليفته ثم لقب الإمام ثم كنيته وهي أبو عبد الله ثم اسم الخلفية العباسي الواحد وثلاثون من خلفاء الدولة العباسية محمد متبوعاً بألقابه المقتفي لأمر الله، أمير المؤمنين، ثم عبارات دعائية له ولآبائه صلى

الدين عبد الحميد، مطبعة سعادة، مصر، 1952م، ج1، ص378، أحمد بن يوسف القرماني (ت1019هـ)، اخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، دراسة وتحقيق، أحمد حطيط، فهمي سعد، دار عالم الكتب،1992م، المجلد الثاني، ص177، عبد السلام الترمانيني، أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين، دمشق،1994م، ج3، المجلد الأول، ص413.

([1]) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص69.

(2) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن على، (ت 732هـ) المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية،1907م، ج1، ص332، عبد الله الغازي المكي الحنفي، افادة الانام، المجلد الأول، ص430، 431.

([3]) محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المالكي المكي المعروف بالصباغ (ت1321هـ)، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة،2004م، ج1، ص142.

(4) عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، ج1، ص378، أحمد بن يوسف القرماني، اخبار الدول، المجلد الثاني، ص177.

(5) هو الوزير جمال الدين محمد أبو جعفر بن علي بن أبي منصور، المعروف بالجواد، لجوده وزير مودود بن زنكي بن آق سنقر صاحب الموصل، في الثلث الأول من القرن السادس للهجرة، ولاه مدينة نصيبين، فظهرت كفايته، وأضاف إليه الرحبة، فأبان عن كفاية وعفة، وكان من خواصه وأكبر ندمائه، فجعله مشرف مملكته كلها وحكمه تحكيماً لا مزيد عليه. وكان جمال الدين دمث الاخلاق، وكان كثير الصلات، عزيز البر والصدقات، وكان يبذل الأموال، ويبالغ في الانفاق حتى عُرف بالجواد وصار كالعلم عليه، حتى لا يُقال: إلا جمال الدين الجواد، وأثر آثاراً جميلة، وأجرى الماء إلى عرفات أيام الموسم، من مكان بعيد، وبنى سور مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان خرب من مسجده، وكان يحمل إلى مكة والمدينة من الأموال والكسوات للفقراء والمنقطعين ما يقوم بهم مدة سنة كاملة. إلى غير ذلك من الأعمال النافعة المجيدة. ووصى إذا مات أن يدفن بالمدينة المنورة فمات سنة 559هـ فحمل إليها عن طريق مكة ودفن بجوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم. النجم عمر بن فهد محمد بن محمد بن محمد بن فهد (ت 885هـ)، اتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق وتقديم فهيم محمد شلتوت، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، 2005م، ج2، ص514. ابى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت- لبنان،1968م، ج5، ص143-146. تقي الدين محمد، العقد الثمين، ج2، ص213. محمد طاهر الكردي، التاريخ القويم، ج3، ص199، ج5، ص416، 417.

([6]) تقي الدين محمد، العقد الثمين، ج1، ص49، 51، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، 2000م، ج1، ص141.

([7]) النجم عمر بن فهد، اتحاف الورى، ج2، ص515، 516.

(8) أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف " بابن الأثير" الجزري الملقب بعز الدين، (ت 630هـ)، الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح، محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، 2003م، المجلد التاسع، ص419.

(9) شهاب الدين أحمد، نهاية الأرب، ج23، ص170.

(10) محمد طاهر الكردي، التاريخ القويم، ج3، ص200.

الله عليه وعلى الأئمة آبائه الطاهرين، وخلد ميراث النبوة لديه، وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم الدين، ثم ينتهي النص بتاريخ عمل تجديد باب الكعبة في سنة خمسين وخمس مئة".

وعند وصف بن جبير لجبل الصفا ذكر: وبين الصفا والميل الأخضر ما يأتي ذكره. والميل سارية خضراء، وهي خضرة صباغية. وهي التي إلى ركن الصومعة التي على الركن الشرقي من الحرم على قارعة المسيل إلى المروة وعن يسار الساعي إليها. ومنها يرمل (يمشي سريعاً) في السعي إلى الميلين الأخضرين، وهما أيضاً ساريتان خضراوان على الصفة المذكورة، الواحدة منهما بإزاء باب علي في جدار الحرم وعن يسار الخارج من الباب، والميل الآخر يقابله في جدار تتصل بدار الأمير مكثر بن عيسى[1]. وعلى كل واحدة منهما لوح قد وضع على رأس السارية كالتاج ألفيت فيه منقوشاً برسم مُذهب: " إن الصفا والمروة من شعائر الله"[2]. وبعدها "أمر بعمارة هذا الميل عبد الله وخليفته أبو محمد المستضئ"[3] بأمر الله أمير المؤمنين، أعز الله نصره، في سنة ثلاث وسبعين وخمس مئة"[4].

وتؤكد لنا المصادر التاريخية صدق رواية ابن جبير، فتذكر أنه في عام 573هـ أمر أمير المؤمنين المستضئ بالله بعمارة الأميال الخضر التي بالمسعى المعظم"[5]. والمقصود بالميل هنا هو أحد الميلان الأخضران اللذان بالمسعى، وضعا للعلامة علي طلب الهرولة بينهما، في السعي ذهاباً وإياباً، فأحدهما كان تحت منارة " باب علي" من أبواب المسجد الحرام، لاصقاً بجداره من الخارج، من جهة المسعى، وثانيهما كان متصلاً بدار العباس بن عبد المطلب، رضي الله عنه، وتُسمى " برباط العباس" [6].

وعند تحليلنا للنص نجد أنه يتشابه مع النصوص العباسية السابقة حيث يبدأ بعبارة "أمر بعمارة ثم الشيء المُعمر هذا الميل ثم لقب عبد الله ثم لقب خليفة مضافاً إلى الله عز وجل وخليفته، ثم كنيته أبو محمد ثم ألقابه المستضئ بأمر الله، أمير المؤمنين، ثم عبارة دعائية أعز الله نصره، ثم تاريخ الانتهاء من عمارة الميل في سنة ثلاث وسبعين وخمس مئة.

وعند وصف ابن جبير للكعبة ذكر: وظاهر الكعبة كلها من الأربعة جوانب مكسو بستور من الحرير الأخضر، وسداها قطن وفي أعلاها[7] رسم بالحرير الأحمر [8]، فيه مكتوب: "إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة"[9]، واسم الإمام

---

(1) مكثر بن عيسى بن فليتة بن قاسم بن محمد بن جعفر الحسني المكي تولى ولاية مكة سنة 571هـ بعد وفاة ابيه عيسى بن فليته في شعبان سنة سبعين وخمسمائة، حيث تولى أخيه داود ولاية مكة قبله حتى ليلة النصف من رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة بسبب خروج بعض الخوارج علي داود، ففارق منزله، وولى أخوه مكثر عوضه في الحال، ولكن صدر أمر من الخليفة العباسي الناصر لدين الله أحمد أبو العباس بن الحسن المستضئ بأمر الله إلى أمير الحاج طاشتكين في تلك السنة بعزل مكثر وإقامة أخيه داود مقامه، وسبب ذلك أنه قد بنى قلعة علي جبل أبي قبيس، وقامت الحرب بينهما، وقتل من الفريقين جماعة، وهرب أمير مكة مكثر، فصعد إلى القلعة التي بناها علي جبل أبي قبيس، فحصروه بها، ففارقها وسار عن مكة، وولى أخوه داود الإمارة بها. وفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة انقرضت دولة الهواشم بني فليته، وانتزع مكة من مكثر أبو عزيز قتادة بن أدريس وسبب انتزاعه ما كان عليه أمراؤها الهواشم من الانهماك على اللهو وتبسطهم في الظلم، وتجهز قتادة إلى مكة في جماعة من قومة، وخرج منها مكثر بن عيسى بن فليته إلى نخلة فأقام بها إلى أن مات سنة ستمائة. تقي الدين محمد، العقد الثمين، ج1، ص 173، 188، ج6 ص470، ج7 ص 274-279، عز الدين بن عبد العزيز بن عمر (ت922هـ)، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهيم محمد شلتوت، دار المدني للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1986م، ج1، ص539-544. النجم عمر بن فهد، اتحاف الورى، ج2، ص536-538، 566، 567.

(2) سورة البقرة، آية 58.

(3) المستضيء بأمر الله (556- 575هـ): هو الإمام المستضئ بأمر الله أمير المؤمنين أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد بن المقتفي لأمر الله محمد بن المستظهر الهاشمي العباسي البغدادي، وأمه أم ولد أرمنية تُدعى غضة، ولد في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة، بويع بالخلافة بعد وفاة والده في شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة، وخُطب له بالديار المصرية واليمن وكانت الدولة العباسية منقطعة منها من زمن المطيع، وكان أحسن الخلفاء سيرة وكان اماماً عادلاً شريف النفس حسن السيرة كريماً ليس للمال عنده قدر حليماً شغوفاً علي الرعية أسقط في أيامه المكوس والضرائب، وكان حليماً محباً للعفو، قليل المعاقبة علي الذنوب، كريم اليد، فعاش حميداً ومات سعيداً رضي الله عنه، وكانت خلافته نحو تسع سنين وسبعة أشهر، وكانت أيامه مشرقة بالعطاء والعدل. أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن على، التبر المسبوك في تواريخ الملوك، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1995م، ص56، حسين بن محمد ابن الحسن الديار بكري، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ت، ج2، ص366، أبي الحسن علي، الكامل في التاريخ، ج10، ص98، عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، ج6، ص384.

(4) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص84.

(5) النجم عمر بن فهد، اتحاف الورى، ج2، ص541. محمد طاهر الكردي، التاريخ القويم، ج5، ص131.

(6) هدم أحد العلمين الأخضرين في سنة 1375هـ، وهدم العلم الثاني في السنة التي بعدها 1376هـ، وذلك بسبب توسعة المسجد الحرام، محمد طاهر الكردي، التاريخ القويم، ج5، ص130، 131.

(7) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص60.

(8) لم تكن في الكسوة نقوش ولا كتابة مطلقاً في العصور الأولى لعدم تقدم الصناعات وقلة معرفة الناس للكتابة، حتى أواخر القرن الثاني للهجرة، فإنه بعد هذا العصر بدأ الناس يكتبون على كسوة الكعبة المشرفة أسماء الآمرين بكسوتها. محمد طاهر الكردي، التاريخ القويم، ج4، ص8.

(9) سورة آل عمران آية: 96.

العباسي الناصر [1] لدين الله [2] في سعته قدر ثلاث أذرع يطيف بها كلها. ورسوم مقروءة مرسومة بذكر الله، وبالدعاء للناصر العباسي الآمر بإقامتها، وكل ذلك لا يُخالف لونها [3]. وتؤكد المصادر التاريخية ذلك حيث ذكرت أن الخليفة العباسي الناصر كسى الكعبة ديباجاً أخضر، وذلك في مبدأ خلافته ثم كساها ديباجاً أسود [4]. ويُفهم من نص ابن جبير أن كسوة الكعبة كانت من حرير باللون الأخضر، ويفهم أيضاً أن كسوة الكعبة لم تكن باللون الأسود في هذه الفترة حيث شاع في المصادر التاريخية المتنوعة أن اللون الأسود اتخذه العباسيون شعاراً لهم [5]. وأن أعلاها رسم أي شريط أو طراز [6] من الحرير الأحمر وبداخل هذا الرسم أو الطراز كتابة عربية باللون الأخضر، لأنه ذكر أن هذه الكتابات لا تخالف لونها، والكتابات العربية التي قرأها بن جبير عبارة عن آية قرأنية رقم 96 من سورة آل عمران، وبعدها اسم الإمام العباسي الناصر لدين الله الذي أمر بعمل هذه الكسوة، وكتابات توضح الدعاء له، وكتابات فيها أذكار لله تعالى، ولكن لم يبين لنا بن جبير الأدعية للخليفة الناصر لدين لله، ولا الأذكار.

وعند ذكر ابن جبير لكسوة الكعبة علي يد الأمير العراقي قال: وفي يوم السبت، يوم النحر المذكور، سنة تسع وسبعين وخمسمائة، سيقت كسوة الكعبة المقدسة من محلة الأمير العراقي إلى مكة على أربعة جمال، تقدمها القاضي الجديد بكسوة الخليفة السوادية، والرايات على رأسه، والطبول تهز وراءه [7]، فوضعت الكسوة في السطح المكرم أعلى الكعبة. فلما كان يوم الثلاثاء الثالث عشر من الشهر المبارك (ذي الحجة) اشتغل الشيبيون بإسبالها خضراء يانعة تقيد الأبصار حسناً، في أعلاها رسم أحمر واسع مكتوب في الصفح الموجه إلى المقام الكريم حيث الباب المكرم، وهو وجهها المبارك، بعد البسملة: " إن أول بيت وضع للناس"[8]، وفي سائر الصفحات اسم الخليفة والدعاء له، وتحف بالرسم المذكور طرتان حمراوان بدوائر صغار بيض فيها رسم بخط رقيق يتضمن آيات من القرآن [9]، وذكر الخليفة أيضاً. والمقصود بالخليفة هنا هو الإمام العباسي الناصر لدين الله [10] السابق الذكر.

وتؤكد المصادر التاريخية ذلك فتذكر أنه في يوم السبت عاشر ذي الحجة شيعت كسوة الكعبة الشريفة من محلة الأمير العراقي إلى مكة على أربعة جمال، يتقدمها قاضي مكة وخطيبها العماد أبو جعفر محمد بن جعفر بن أحمد العباسي[11].

وعند وصف بن جبير للحِجر ذكر: ويُقابل الميزاب في وسط الحِجر، وفي نصف جداره الرخامي، رخامة قد نُقشت أبدع نقش، وحُفت بها طرة منقوشة نقشاً مكحلاً عجيباً، فيه مكتوب: مما أمر بعمله عبد الله وخليفته [1] أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين، وذلك في سنة ست وسبعين وخمسمائة [2].

---

(1) الناصر: استُعمل كلقب، وكان يقصد به الناصر لدين الله، وقد ورد اللقب أحياناً بهذه الصيغة: " الناصر لدين الله". وكان هذا اللقب نعتاً خاصاً للخليفة العباسي أبو العباس أحمد الناصر ببغداد (622-575هـ)، حسن الباشا، الألقاب، ص525، 530.

(2) هو الناصر لدين الله أحمد أبو العباس بن الحسن المستضئ بأمر الله، ولد في العاشر من رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه في مستهل شهر ذي القعدة من عام خمسة وسبعين وخمسمائة. كان فصيح اللسان، بليغ البيان، شجاعاً، شهماً، رفع المظالم، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وأقام حدود الله وأحيا سنة رسول الله، وعمر الشريعة وأظهر الصنيعة، وتوفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة فكانت مدة خلافته سبعاً وأربعين سنة. أبي الحسن على بن أبي بكر الهروي (ت 611هـ)، الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، 2002م، ص13، محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية، المكتب الإسلامي، دمشق، ط5، 1991م، ج2، ص313، 314.

(3) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص61.

(4) حسين عبد الله باسلامة، تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكستوها وسدانتها،1954م، ص257، 258، 260، محمد بن أحمد، تحصيل المرام، ج1، ص154.

(5) يُفهم من المصادر التاريخية أن خلفاء بني العباس اهتموا بالكعبة وبكسوتها، كل حسب طاقته والظروف المهيأة له، فكانت عنايتهم بالكسوة عظيمة إلى حد بعيد، ومع تطور فن النسج والحياكة والصبغ والتلوين، والتطريز، والطلاء بماء الذهب والفضة جعلهم يصلون إلى مالم يصل إليه السلف، وكان الخلفاء العباسيين يجهزون كسوة الكعبة من بغداد كل سنة، ثم يرسلونها في موسم الحج مع أمير الحج إلى المدينة المنورة، ونشرها بالمسجد النبوي ثم يخرج بها إلى مكة المكرمة. وكان الغرض منها إبراز دور الخلفاء العباسيين حيال الخدمات التي تُقدم لبيت الله الحرام وتبيان مدى اهتمامهم بالحرمين الشريفين. ابى العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشا، ج4، ص57. أحمد حلمي مصطفى، اسرار الكعبة المشرفة، دار الجمهورية للصحافة، القاهرة، 2009م، ص279. سليمان صالح، امارة الحج، ص216.

(6) لا يُعرف أول من عمل الطراز على كسوة الكعبة لأنه لم يأت ذكر الكسوة التي كانت تُكسى بها الكعبة في الجاهلية، ولافي العصر النبوي، ولا في عصر الخلفاء الراشدين، ولا في عصر بني أمية، ولا صدر الخلافة العباسية إلى عصر المأمون أنه كان على كسوة الكعبة طراز. حسين عبد الله باسلامه، تاريخ الكعبة المعظمة، ص262.

(7) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص157.

(8) سورة أل عمران، آية 96.

(9) أبو الحسين محمد الكناني، رحلة بن جبير، ص158.

(10) كان الخليفة العباسي الناصر هو أول من كسا الكعبة الديباج الأسود، وكان كسا البيت ديباجاً أخضر قبل الأسود. جمال الدين محمد جار الله، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، الطبعة الخامسة، 1979م، ص69.

(11) هو محمد بن جعفر بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز العباسي، قاضي مكة وخطيبها عماد الدين، ويُقال: فخر الدين أبو جعفر، ويقال أبو الحسن البغدادي. ولد في الرابع عشر من رجب، سنة أربع وعشرين وخمسمائة. تولى القضاء بمكة والخطابة بها، وولى القضاء ببغداد، وتوفي بها ليلة التاسع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وخمسمائة. تقي الدين محمد، العقد الثمين، ج1، ص438.

يُوضح نص بن جبير أن الخليفة أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمر بعمل كسوات رخامية لحِجر سيدنا إسماعيل، وحدد لنا تاريخ هذا العمل وهو 576هـ/ 1181م، وهو ما تؤكده لنا المصادر التاريخية أنه في خلافة الخليفة الناصر لدين الله صدر أمره بفرش حجر إسماعيل بالرخام في سنة 576هـ/ 1181م[3].

وعند تحليلنا للنص الذي قرأه بن جبير نجد أنه يبدأ بصيغة مما أمر بعمله متبوعاً بلقب عبد الله، للدلالة أيضاً على التواضع والخضوع لله عز وجل، ثم بلقب خليفة منسوباً إلى الله عز وجل خليفته يتبعه اسم الخليفة أبو العباس أحمد متبوعا بلقبي الناصر لدين الله، أمير المؤمنين، ثم ينتهي النص بتاريخ الانتهاء من تجديد الكسوات الرخامية وذلك في سنة ست وسبعين وخمسمائة.

ثم وصف بن جبير مسجد مولد النبي بقوله: وهو مسجد حفيل البنيان، وكان دارا لعبد الله بن عبد المطلب، أبي النبي، صلى الله عليه وسلم، وهذا الموضع المبارك هو شرقي الكعبة متصل بصفح الجبل. ويشرف عليه بمقربة منه جبل أبي قبيس، وعلى مقربة منه أيضاً مسجد، عليه مكتوب: "هذا المسجد هو مولد علي بن أبي طالب، رضوان الله عليه، وفيه تربى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وكان داراً لأبي طالب عم النبي، صلى الله عليه وسلم، وكافله"[4].

كانت موضع ولادة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة بسوق الليل[5] بأعلى الشعب، وموضع ولادة على بقرب موضع ولادة النبي صلى الله عليه وسلم بينهما أقل من مائتي متر[6].

وعند تحليلنا للنص نجد أنه يشير إلى مكان ولادة سيدنا على رضى الله عنه، ويبين أنه نفس المكان الذي تربى فيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه كان درا لعمه ابى طالب الذي تكفل رعايته بعد وفاة أبيه، ولكن نلاحظ أن بن جبير لم يذكر لنا باني هذا المسجد، وفي أي مكان في المسجد قرأ هذا النص؟، ولاحدد لنا متى كُتب هذا النقش ولا المناسبة التي كُتب لأجلها؟

النقش الذي قرأه بن جبير بالمدينة المنورة

في عشي يوم الأحد الموفي الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة 579هـ، وهو أول أبريل سنة 1183م كان مسير بن جبير إلى محلة الأمير العراقي بالزاهر، وهو على نحو الميلين من البلد، فأقام بالزاهر ثلاثة أيام يجدد العهد كل يوم بالبيت العتيق، ويعيد وداعه. فلما كان ضحوة يوم الخميس الثاني والعشرين من ذي الحجة أقلعت المحلة على تؤدة ورفق، ونزلت على نحو ثمانية أميال من الموضع الذي أقلعت منه بمقربة من بطن مر[7]، فكان مدة مقام ابن جبير بمكة من يوم وصوله إليها، وهو يوم الخميس الثالث عشر لربيع الآخر من سنة تسع وسبعين (وخمسمائة)، إلى يوم إقلاعه من الزاهر وهو يوم الخميس الثاني والعشرين لذي الحجة من السنة المذكورة ثمانية أشهر وثلث شهر، التي هي بحسب الزائد والناقص من الأشهر مئتا يوم واثنتان وخمسة وأربعون يوماً.

ثم اقلع بن جبير من ذلك الموضع إثر صلاة الظهر من يوم الخميس، إلى بطن مر، فأقام به يوم الجمعة[8]، ثم أقلع ظهر يوم السبت الرابع والعشرين لذي الحجة المذكور سنة 579هـ ونزل بمقربة من عسفان، ثم أسري إليها نصف الليل وصبحها بكرة يوم الأحد[9]. فلما كان إثر صلاة الظهر أقلع إلى خليص، فوصلها عشي النهار. ومر بن جبير علي مراحل كثيرة يطول ذكرها حتى نزل ضحى يوم الاثنين الثالث لمحرم سنة 580هـ/ السادس عشر لأبريل سنة 1183م بوادي العقيق، وعلى شفيره مسجد ذي الحليفة من حيث أحرم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والمدينة من هذا الموضع خمسة أميال، ومن ذي الحليفة حرم المدينة إلى مشهد حمزة إلى قباء، وأول ما يظهر للعين منارة مسجدها بيضاء مرتفعة ثم رحل

---

(1) خليفه: لقب علي الزعيم الأعظم القائم بأمور الأمة، وقد أجازوا أن يُقال في الخليفة " خليفة رسول الله" لأنه خلفه في أمته. واختُلف في الهاء في آخره: فقيل أُدخلت فيه للمبالغة، كما أدخلت في رجل داهية وعلامة، وقيل الهاء فيه لتأنيث الصيغة. ابى العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشا، ج5، ص445، 446.

(2) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص65.

(3) أبو البقاء محمد بهاء الدين ابن الضياء، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام، د.ت، ج1، ص89، عبد الله الغازي المكي الحنفي، إفادة الأنام، المجلد الأول، ص576.

(4) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص 141.

(5) يذكر الاستاذ محمد طاهر الكردي المكي أنه حصلت عمارات كثيرة في هذا الموضع، وأشار إلى آخر بناية حصلت فيه في وقته بعد أن أصبحت هذه البقعة ميداناً لا بناية فيه مطلقاً حيث ذكر أنه بنيت في هذا الموضع مدرسة تُسمى " مدرسة النجاح الليلية لتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم فن التجويد، وأنواع العلوم العربية، وكان ذلك في عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود، عام 1376هـ/ 1976م. محمد طاهر الكردي، التاريخ القويم، ج1، ص290.

(6) محمد طاهر الكردي، التاريخ القويم، ج1، ص290.

(7) بطن مر: بفتح الميم وتشديد الراء: من نواحي مكة. صفي الدين عبد المؤمن، مراصد الاطلاع، المجلد الأول، ص205.

(8) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص158.

(9) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص162.

منها إثر صلاة الظهر من يوم الأثنين المذكور، وهو السادس عشر لأبريل، فنزل بظاهر المدينة الزهراء، والتربة البيضاء، والبقعة المشرفة بمحمد سيد الأنبياء، صلى الله عليه وسلم، وفي عشي ذلك اليوم دخل الحرم المقدس لزيارة الروضة المكرمة المطهرة[1]، وبالمدينة المنورة قرأ بن جبير نقشاً واحداً فقط، وربما يكون ذلك قصر المدة التي قضاها ابن جبير بالمدينة حيث مكث بها ستة أيام فقط، حيث دخلها في 3 محرم سنة 580هـ وخرج منها في 8 محرم سنة 580هـ، وعلى الرغم من وصفه مسجد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وذكر روضته المقدسة المطهرة إلا أنه لم يُشر إلى أي نقوش قد قرأها به، ولكن عند ذكره للمشاهد المكرمة التي ببقيع الغرقد بالمدينة المنورة قال: وبقيع الغرقد شرقي المدينة، تخرج إليه على باب يُعرف بباب البقيع وفي آخر البقيع قبر عثمان الشهيد المظلوم ذي النورين، رضي الله عنه، وعليه قبة صغيرة مختصرة. وعلى مقربة منه مشهد فاطمة بنت أسد [2] أم علي، رضي الله عنها وعن بنيها، وعلى قبرها مكتوب: " ما ضم قبرُ أحد كفاطمة بنت أسد رضي الله عنها وعن بنيها". [3]

وتؤكد المصادر والمراجع ذلك، فتذكر أنها نشأت في الجاهلية بمكة. ثم هاجرت مع أبنائها إلى المدينة وماتت بها فكفنها النبي صلى الله عليه وسلم بقميصه واضطجع في قبرها، وقبرها في البقيع، كان تحت قبة عثمان ابن عفان [4].

النقش الذي قرأه بن جبير بالعراق

وفي ضحوة يوم السبت الثامن من محرم سنة 580هـ/ الحادي والعشرين من شهر أبريل 1183م، رحل ابن جبير من المدينة المكرمة إلى العراق بعد أن مر بمراحل كثيرة يطول ذكرها في هذا المقام، وقام بوصف مدينة الكوفة، ومسجدها الجامع، ومشهد سيدنا علي بن أبى طالب، رضي الله عنه. ثم رحل من الكوفة إلى مدينة الحلة التي وصفها ابن جبير، وذكر أن الطريق منها إلى بغداد أحسن طريق وأجملها [5]. وفي عصر يوم الاثنين 1 صفر 580هـ/ 14 مايو 1183م نزل بقرية تُعرف بالقنطرة، وقام بوصفها، ورحل منها سحر يوم الثلاثاء الثاني من صفر المذكور، فنزل بقرية تُعرف بالفراش [6] وقام بوصفها وذكر أن قرى هذه الطريق من الحلة إلى بغداد على هذه الصفة من الحسن والاتساع. وذكر أن بهذه القرية خان وقام بوصفه.

ووصل ابن جبير مدينة بغداد قبيل عصر يوم الأربعاء 3 صفر 580هـ/ 16مايو 1183م، وقام بوصفها ووصف أهلها ومجالس العلم والوعظ بها، وعند وصفه لمدينة بغداد ذكر أنها جانبان شرقي وغربي ودجلة بينهما، فأما الجانب الغربي فقد عمه الخراب واستولى عليه، وكان المعمور أولاً. وعمارة الجانب الشرقي محدثة لكنه مع استيلاء الخراب عليه يحتوي علي سبع عشرة محلة [7]، كل محلة منها مدينة مستقلة، وفي كل واحدة منها الحمامان والثلاثة والثمانية منها بجوامع يُصلى فيها الجمعة، وذكر أن أكبر هذه المحلات تُسمى القُرية [8]، وذكر منها محلة باب البصرة، وذكر أن بها جامع المنصور. وذكر منها محلة الشارع، وذكر أن بين محلة الشارع ومحلة باب البصرة سوق المارستان، وهي مدينة صغيرة، فيها المارستان الشهير ببغداد، وهو على دجلة.

وذكر أن أسماء سائر المحلات يطول ذكرها، وذكر منها الوسيطة، والعتابية، ومنها الحربية [9]، وذكر أنه في الطريق إلى باب البصرة مشهد حفيل البنيان ذا قبر متسع السنام، عليه مكتوب: هذا قبر عون ومعين [10]، من أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب [1] رضي الله عنه".

([1]) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص167.

([2]) فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي الهاشمية وأمها فاطمة بنت هرم بن رواحة بن حجر بن معيص بن عامر بن لؤي تزوجها أبو طالب بن عبد المطلب أول هاشمية ولدت خليفة. وهي أم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كما ولدت جعفر، وعقيل وطالب وأم هانئ وجمانة. نشأت في الجاهلية بمكة. وتزوجت بأبي طالب (عبد مناف ابن عبد المطلب) وأسلمت بعد وفاته، وكانت امرأة صالحه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها ويقيل في بيتها. ثم هاجرت مع أبنائها إلى المدينة وماتت بها فكفنها النبي صلى الله عليه وسلم بقميصه واضطجع في قبرها، وقال: لم يكن أحد بعد أبي طالب أبر بي منها. وقبرها في البقيع، كان تحت قبة عثمان ابن عفان. محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد (ت 230هـ)، الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1991م، ج8، ص178، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، سير الخلفاء الراشدون، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، 1996م، ص225، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة مراجعة علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1992م، ج8، رقم 11584، خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، 1980م، ج5، ص130.

([3]) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص 173 ،174.

([4]) خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص130.

([5]) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص189، 190.

([6]) الفراش: قرية مشهورة في سواد بغداد ينزلها الحاج. شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج6، ص350.

([7]) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص200.

([8]) القرية: تصغير قرية: محلتان ببغداد: إحداهما في حريم دار الخلافة، وهي كبيرة فيها محال وسوق، والأخرى بالجانب الغربي، مقابل مشرعة سوق المدرسة النظامية. صفي الدين عبد المؤمن، مراصد الاطلاع، المجلد الثالث، ص1088.

([9]) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص201.

([10]) لم أعثر له على ترجمة، ولم يذكر كل من كتب عن سيرة سيدنا على وأولاده أن من بين أولاده من يسمى معين.

ثم رحل بن جبير من بغداد إلى الموصل إثر صلاة العصر من يوم الإثنين الخامس عشر لصفر سنة 580هـ، وهو الثامن والعشرون لمايه 1183م [2]، فكان مقامه بها ثلاثة عشر يوماً بعد أن مر بمراحل كثيرة يطول ذكرها وصل مدينة الموصل يوم الثلاثاء الثالث والعشرين لصفر سنة 580هـ، والخامس من يونية، سنة 1183م ونزل بربضها في أحد الخانات بمقربة من الشط. وبعد أن مر ابن جبير بعدة مراحل يطول ذكرها في هذا المقام وصل مدينة دمشق يوم الخميس الرابع والعشرين لربيع الأول سنة 580هـ، والخامس ليوليه سنة 1183م. ونزل فيها بدار الحديث غربي جامعها المكرم.

ثم قام بوصف مدينة دمشق، وذكر مسجدها الجامع الذي بناه الوليد بن عبد الملك، وأطال في وصفه [3]، ثم ذكر بعده مشاهد دمشق [4]، وقام بوصف قرية كبيرة تُعرف بالنيرب [5]، بها جامع لم يُر أحسن منه. وفوقها لجهة القبلة قرية كبيرة، هى من أحسن القرى، تُعرف بالمِزَّة [6]، وبها جامع كبير وسقاية معينة، وبقرب النيرب حمام، وأكثر قرى هذه البلدة فيها الحمامات. وفي الجهة الشرقية من البلد، عن يمين الطريق إلى مولد إبراهيم، عليه السلام، قرية تُعرف ببيت لاهية، وكانت فيها كنيسة هي آلان مسجد مبارك يجتمع فيه أهل القرية، وسطحه كله مفروش بفصوص الرخام الملونة، منتظم كله خواتيم وأشكالاً بديعة، يخيل لمبصرها أنها فرش متقنة مزخرفة، وهو من المشاهد الكريمة [7].

النقوش التي قرأها ابن جبير في دمشق

ذكر ابن جبير أن بغربي البلد جبانة كبيرة تُعرف بقبور الشهداء، فيها كثير من الصحابة والتابعين الأئمة الصالحين، رضي الله عنهم، وموضع مُبارك فيه تاريخ قديم مكتوب عليه: في هذا الموضع قبر جماعة من الصحابة، رضي الله عنهم، منهم فضالة بن عبيد [8]، وسهل بن الحنظلية [9]، من الذين بايعوا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، تحت الشجرة وخال أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه"، وقبره مسنم في الموضع المذكور. وذكر أيضاً أن في الجهة

---

(1) تزوج على رضي الله عنه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية من الهجرة، ولم يتزوج غيرها أثناء حياتها، وأنجب منها الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهم ومحسن مات صغيراً، وزينب الكبرى، وأم كلثوم الكبرى فلما توفيت السيدة فاطمة الزهراء في السنة الحادية عشرة، تزوج أم البنين بنت حرام الكلابية فولدت له العباس، وجعفراً، وعبد الله، وعثمان وقد استشهدوا جميعهم مع أخيهم الحسين في معركة كربلاء، ولاعقب لهم سوى العباس. وتزوج ليل بنت مسعود التميمية فولدت له عبيد الله وأبا بكر، وقد استشهد مع أخيهما الحسين في كربلاء، ولاعقب لهما. وتزوج أسماء بنت عميس الخثعمية، وكانت تحت أخيه جعفر، فلما استشهد في مؤتة تزوجها أبوبكر الصديق، وانجبت له محمد بن أبي بكر، فلما توفي أبو بكر تزوجها علي فولدت له يحي، ومحمد الأصغر، وعوناً، وليس لهم عقب أيضاً. وتزوج أم حبيبة بنت زمعة التغلبية وهي من سبي خالد بن الوليد حين أغار علي عين التمر في العراق، وانجبت له عمر، وتوفي وعمره خمسة وثلاثون عاماً وقيل إنه عمر حتى بلغ خمسا وثمانين سنة، وحاز نصف ميراث على رضي الله عنه، ثم مات بينبع وله عقب، ورقية. وتزوج أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفية فولدت له أم الحسن، ورملة الكبرى. وتزوج أمامه بنت أبي العاص بن الربيع، وهي ابنة أخت فاطمة إذ أن أمها زينب الكبرى من بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له محمد الأوسط. وتزوج خولة بنت جعفر الحنفية وهي من سبي خالد بن الوليد في حروب الردة فولدت له محمد الأكبر وهو المعروف بمحمد بن الحنفية. ومات رضي الله عنه عن أربع نسوة وتسع عشر سرية، وجميع ولد علي خمسة عشر ذكراً، ومن البنات تسع عشرة، وأكثرهم قتل مع الحسين في كربلاء. شهاب الدين أحمد، نهاية الأرب، ج20، ص136، 137، حسين بن محمد، تاريخ الخميس، ج2، ص316، محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، الخلفاء الراشدون، ج3، ص247، 248.

(2) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص202-206.

(3) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص235-246.

(4) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص248.

(5) نيرب: بالفتح، ثم السكون، وفتح الراء، وباء موحدة قرية بدمشق مشهورة على نصف فرسخ، يقال إن فيها مصلى الخضر. صفي الدين عبد المؤمن، مراصد الاطلاع، المجلد الثالث، ص1410.

(6) مِزة: بالكسر، ثم التشديد: قرية كبيرة غناء في أعلى الغوطة، في سفح الجبل من أعلى دمشق. صفي الدين عبد المؤمن، مراصد الاطلاع، المجلد الثالث، ص1296.

(7) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص249.

(8) فضالة بن عبيد ابن نافذ بن قيس بن صهيب بن أصرم بن جحجبي، القاضي الفقيه، أبو محمد الأنصاري الأوسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيعة الرضوان. ولي الغزو لمعاوية، ثم ولى له قضاء دمشق، وكان ينوب عن معاوية في الإمرة أذا غاب. شهد أحداً والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم خرج إلى الشام، فسكنها، وكان قاضياً بالشام. استقضاه في خروجه إلى صفين، ثم أمره= =معاوية على جيش فغزا الروم في البحر، وسبى بأرضهم. وقال ابن يونس: شهد فتح مصر، وولي بها القضاء والبحر لمعاوية. وقال معاوية حين هلك فضالة، وهو يحمل نعشه، لابنه عبد الله بن معاوية: تعال اعقبني، فإنك لن تحمل مثله أبداً. قال ابن معين: دفن فضالة بباب الصغير. ومات سنة ثلاث وخمسين في خلافة معاوية. وقيل سنة تسع وخمسين، وكان موته بدمشق، وبقي له بها عقب. عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت630هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان د.ت، ج4، ص347، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تهذيب سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، تهذيب أحمد فايز الحمصي، مؤسسة الرسالة، 1991م، ج1، ص88، 89.

(9) سهل بن الحنظلية الأنصاري: هو سهل بن الربيع بن عمرو بن عدي بن زيد، الأنصاري، الأوسي، من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، والحنظلية أمه، وقيل: أم جده. وكان ممن بايع تحت الشجرة، وكان فاضلاً، معتزلاً عن الناس، كثير الصلاة والذكر، كان لايزال يصلي مهما هو بالمسجد، فإذا انصرف لايزال ذاكراً من تسبيح وتهليل، حتى يأتي أهله. وسكن دمشق، ومات بها أول خلافة معاوية، ولاعقب له، وكان يقول: لأن يكون لي سقط في الإسلام أحب إلى مما طلعت عليه الشمس. وله أخ اسمه عقبة له صحبة. عز الدين ابن الأثير، أسد الغابة، ج2، ص571، 572.

التي تلي هذا الموضع المبارك تاريخ فيه مكتوب: هذا قبر أوس بن أوس الثقفي [1]. وحول هذا الموضع المذكور، على مقربة منه، قبر بلال بن حمامة مؤذن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وفي رأس القبر المبارك تاريخ باسمه، رضي الله عنه [2]. كما ذكر العديد من المشاهد المكرمة وذكر منهم مشهد سعد بن عبادة [3] رئيس الخزرج، صاحب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو بقرية تُعرف بالمنيحة شرقي البلد [4] وعلى مقدار أربعة أميال منه. وعلى قبره مسجد صغير حسن البناء، والقبر وسطه، وعند رأسه مكتوب: هذا قبر سعد بن عبادة رأس الخزرج، صاحب رسول الله، صلى الله عليه وسلم [5]. ومن المشاهد الشهيرة أيضا بدمشق مسجد الأقدام [6]، وهو على مقدار ميلين من البلد مما يلي القبلة على قارعة الطريق الأعظم الآخذ إلى بلاد الحجاز والساحل وديار مصر. وفي هذا المسجد بيت صغير فيه حجر مكتوب عليه: "كان بعض الصالحين يرى النبي صلى الله عليه وسلم، في النوم، فيقول: ههنا قبر أخي موسى، صلى الله عليه وسلم" [7].

وعند تحليلنا للنصوص السابقة نجد اقتصار ابن جبير في قراءته للنقوش على شواهد القبور ماعدا النقش الأخير، فنلاحظ في النقش الأول أنه لم يرد على شاهد قبر لشخص معين بل ورد على ما يمكن أن نسميه لوحة تعريفية لمن مات في هذا المكان، والذي ورد بصيغة " في هذا الموضع قبر جماعة من الصحابة، رضي الله عنهم، منهم ثم ذكر أسماء الصحابة ثم ذكر بعدها أنهم من الذين بايعوا النبي تحت الشجرة وهي التي تُسمى ببيعة الرضوان في الحديبية [8]. أما النقش الثاني فورد بصيغة " هذا قبر ثم اسم المقبور ثم وصفين له بأنه رأس الخزرج، وأنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما النقش الثالث والذي ذكر ابن جبير أنه يوجد في بيت صغير داخل مسجد الاقدام، والذي وصفه بالمشهد على الرغم من الاختلاف بينهما في الوظيفة والتكوين المعماري، فيمثل خبراً أن بعض الصالحين ولم يذكر اسمه كان يرى النبي في المنام ويقول له أن في هذا المكان قبر سيدنا موسى عليه السلام. ويستدل من النص أن قبر سيدنا موسى غير معلوم، وهو ما تؤكده المصادر التاريخية وكتاب سير الأنبياء [9].

ثم رحل بن جبير من دمشق عشي يوم الخميس من شهر جمادى الآخرة، وهو الثالث عشر من شهر سبتمبر، في قافلة كبيرة من تجار المسافرين بالسلع إلى عكة. وظل يتنقل من مرحلة إلى مرحلة حتى وصل إلى مدينة قرطاجنة[10]. فنزل بها عشي يوم الخميس الخامس عشر من محرم لسنة 582هـ/ الثامن عشر من أبريل 1183م [11]، ثم أقلع منها إثر صلاة الجمعة السادس عشر منه، ثم منه يوم السبت إلى مرسيه[12]، ومنها في اليوم بعينه إلى لبرالة، ثم منها يوم الأحد إلى

(1) أوس بن أبي أوس، ويقال ابن أبى أوس، وهو والد عمرو بن أوس، وقال: روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث. وروى عنه الشاميون وعداده فيهم، قال أبو نعيم: مات سنة تسع وخمسين. تقي الدين محمد، العقد الثمين، ج3، ص336. عز الدين بن الأثير، أسد الغابة، ج1، ص312، 318.

(2) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص251.

(3) سعد بن عبادة ابن دليم بن حارثة بن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب ابن الخزرج. السيد الكبير الشريف، أبو قيس الأنصاري الخزرجي الساعدي المدني، النقيب سيد الخزرج. له أحاديث يسيرة وهي عشرون بالمكرر. مات قبل أوان الرواية، روى عنه سعيد بن المسيب، والحسن البصري، مرسل. له عند أبي داود، والنسائي حديثان. وقال البخاري في " تاريخه": إنه شهد بدراً، وتبعه ابن مندة. عن ابن عباس قال: كان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علي، ولواء الأنصار مع سعد بن عبادة. كان ملكاً شريفاً مطاعاً. وقد التفت عليه الأنصار يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبايعوه، وكان موكوعاً، حتى أقبل أبو بكر والجماعة، فردوهم عن رأيهم فما طاب لسعد، فلم يبايع سعد أبابكر ولا عمر، وسار إلى الشام، فأقام به بحوران. إلى أن مات بها قيل سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة أربع عشرة، وقيل: سنة خمس عشرة، وقيل: سنة ست عشرة، ولم يختلفوا أنه وجد ميتاً على مغتسله، وقد اخضر جسده، ولم يشعروا بموته بالمدينة حتى سمعوا قــائلاً يقول من بئر، ولا يرون أحداً قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة رميناه بسهمين فلم نخط فؤاده. قيل: إن قبره بالمنيحة، قرية من غوطة دمشق، وهو مشهد يزار إلى اليوم. عز الدين بن الأثير، أسد الغابة، ج2، ص441-443، شمس الدين الذهبي، تهذيب سير أعلام النبلاء، ج1، ص30.

(4) الصحيح أن سعداً مات بالمدينة. الهروي، الإشارات، ص21.

(5) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص252-253.

(6) فأما الأقدام ففي حجارة في الطريق إليه معلم عليها، تجد أثر القدم في كل حجر، وعدد الأقدام تسع، ويقال: إنها أثر قدم موسى، عليه السلام، والله أعلم بحقيقة ذلك، لا إله سواه. أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص254.

(7) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص254.

(8) وردت هذه القصة في سورة الفتح آية 18.

(9) هو كليم الله موسى ابن عمران بن قاهث ابن عازر بن لاوى ابن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم الخليل عليه السلام، عاش في الفترة من 1527-1407 ق.م، وكان مكان بعثته سيناء بمصر، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم 136مرة، وتوفي في أرض التيه وعنده مائة وعشرون سنة. ابن كثير، قصص الأنبياء،1990م، ج2، ص 196-199، أبي اسحق أحمد بن محمد ابن إبراهيم الثعلبي، قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس، د.ت، ص147، سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس تاريخ الأنبياء والرسل، مكتبة العبيكان، الرياض، 2005م، ص53

(10) قرطاجنة: بالفتح، ثم السكون، وطاء مهملة، وجيم، ونون مشددة، وقيل اسمها قرطا، وأضيف إليها جنة لطيبها وحسنها: بلد قديم من نواحي إفريقية، وهي على ساحل البحر، بينها وبين تونس اثنا عشر ميلاً. صفي الدين عبد المؤمن مراصد الاطلاع، المصدر السابق، المجلد الثالث، ص1078.

(11) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص318، 319.

(12) مُرسِيَة: بضم أوله، وكسر السين المهملة، وياء مفتوحة خفيفة، وهاء: مدينة بالأندلس. صفي الدين عبد المؤمن، مراصد الاطلاع، المجلد الثالث،1258.

لورقة[1]، ثم منها يوم الاثنين إلى المنصورة[2]، ثم منها يوم الثلاثاء إلى قنالش بسطة، ثم منها يوم الأربعاء إلى وادي آش، ثم منها يوم الخميس الثاني والعشرين لمحرم سنة 582هـ، والخامس والعشرين لأبريل لسنة 1183م، إلى المنزل بغرناطة[3] فكانت مدة مقامه من لدن خروجه من غرناطة إلى وقت إيابه عامين كاملين وثلاثة أشهر ونصفاً، والحمد لله رب العالمين[4].

([1]) لورقة: بالضم، ثم السكون، والراء مفتوحة، والقاف. ويقال لرقة، بسكون الراء بغير واو: مدينة بالأندلس. صفي الدين عبد المؤمن، مراصد الاطلاع، المجلد الثالث، ص1211.

([2]) المنصورة: مدينة بقرب القيروان من إفريقية، أحدثها المنصور بن القائم بن المهدي الخارج بالمغرب. صفي الدين عبد المؤمن، مراصد الاطلاع، المجلد الثالث، ص1322.

([3]) غرناطة: بفتح أوله، وسكون ثانيه، ثم نون، وبعد الألف طاء مهملة. وقيل بألف قبلها، وهي أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس، يشقها النهر المعروف بقلزم. صفي الدين عبد المؤمن، مراصد الاطلاع، المجلد الثاني، ص990.

([4]) أبو الحسين محمد، رحلة بن جبير، ص320.

نتائج البحث

1- نلاحظ أن النقوش التي قرأها ابن جبير اقتصرت على أربعة أماكن فقط وهي مكة، والمدينة، وبغداد، ودمشق.

2- حازت مكة المكرمة النصيب الأكبر من النقوش التي قرأها ابن جبير بها حيث بلغت ثمانية نقوش، وبعدها دمشق حيث بلغت أربعة نقوش، واقتصرت المدينة وبغداد على نقش واحد لكل منهما.

3- نلاحظ أن معظم النقوش التي قرأها ابن جبير كانت في مكة المكرمة حيث تبلغ ثمانية نقوش تعود معظمها إلى العصر العباسي، واقتصرت هذه النقوش على ثلاث أماكن المسجد الحرام، والكعبة، ومسجد مولد سيدنا على بن أبي طالب، وربما يكون السبب في ذلك طول المدة التي مكثها في مكة المكرمة من يوم وصوله إليها، وهو يوم الخميس الثالث عشر لربيع الآخر من سنة 579هـ، إلى يوم إقلاعه وهو يوم الخميس الثاني والعشرين لذي الحجة من السنة المذكورة وهي حوالي ثمانية أشهر وثلث شهر، واعطته هذه الفترة الفرصة لأن يقرأ ويكتب مثل هذه النقوش المهمة. على عكس المدن الأخرى مثل الإسكندرية التي ظل بها أسبوع واحد، دخلها يوم السبت 29 من ذي القعدة سنة 578هـ / 26 من مارس سنة 1182م، وغادرها صبيحة يوم الأحد 8 ذي الحجة سنة 578هـ/ 3 ابريل سنة 1182م، والقاهرة، والفسطاط التي ظل بها أقل من شهر حيث دخلها يوم الأربعاء، وهو 11 من ذي الحجة سنة 578هـ /6 من أبريل سنة 1182م. وظل بها حتى صبيحة يوم الأحد السادس من محرم لسنة 579هـ/ واحد من مايو 1182م. والمدينة المنورة حيث مكث بها ستة أيام فقط، حيث دخلها في 3 محرم سنة 580هـ وخرج منها في 8 محرم سنة 580هـ. وبغداد حيث مكث بها ثلاثة عشر يوماً حيث دخلها يوم الأربعاء 3 صفر 580هـ/ 14 مايو 1183م ثم رحل منها يوم الإثنين 15 صفر سنة 580هـ/ 28 مايو 1183م.

4- تنوعت المواد الخام التي قرأ عليها ابن جبير الكتابات العربية ما بين نسيج ويتمثل ذلك في ستور الكعبة. وما بين الرخام كما في حجر اسماعيل، وما بين الخشب كما في باب الكعبة المشرفة.

5- تنوعت الأماكن التي قرأ عليها بن جبير النقوش العربية ما بين الكعبة الشريفة، والمساجد، وشواهد القبور. كشف لنا بن جبير عن مصطلح جديد لشاهد القبر وهو لفظ التاريخ في المغرب.

6- تعود معظم النقوش التي قرأها ابن جبير إلى العصر العباسي وتتضمن خمسة نقوش من عهد الخليفة العباسي الثالث محمد المهدي، ونقش من عهد الخليفة محمد المقتفي لأمر الله، وثلاث نقوش من عهد الخليفة أبو العباس أحمد الناصر لدين الله، ونقش من عهد الخليفة المستضئ بأمر الله، وكانت تتميز بأنها تبدأ إما بعبارة " مما امر" أو بعبارة " أمر" ثم يأتي بعدها إما الشخص الذي أمر بعمارة الشيء المكتوب عليه النقش ثم بعده الشيء المعمور أو العكس.

7- تعود معظم النقوش التي قرأها ابن جبير إلى عهد الخليفة العباسي الثالث محمد المهدي والتي تتضمن خمسة نقوش كتابية عربية قرأها في أماكن مختلفة في المسجد الحرام، وقد تميزت هذه النقوش بأنها تبدأ بصيغة "أمر عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين، أصلحه الله ثم يأتي بعدها الشئ المأمور بعمله. وهي تتضمن تجديدات وأصلاحات في المسجد الحرام، والتي تبرز دور الخليفة المهدي حيال الخدمات التي يقدمها لبيت الله الحرام، وهي تعد بمثابة دعاية للخليفة العباسي المهدى لأن البيت الحرام يأتيه الناس من كل حدب وصوب.

8- تنوعت الصيغ التي كانت تُكتب بها النقوش العربية على شواهد القبور، وكان أشهرها صيغة "هذا قبر" ثم يأتي بعدها اسم الشخص المتوفى، وبعضها بصيغة في هذا الموضع قبر ثم أسماء الأشخاص المتوفيين، وما بين _ ما ضم قبر أحد ثم اسم الشخص المتوفى.

9- تنوعت العبارات الدعائية في النقوش التي قرأها ابن جبير ما بين العبارة الدعائية "أصلحه الله" التي عادة ما كانت تأتي كعبارة دعائية خاصة بالخليفة العباسي محمد المهدي، وكانت تأتي في بداية النص بعد اسم الخليفة المهدى وألقابه. وما بين صلى الله عليه وعلى الأئمة آبائه الطاهرين، وخلد ميراث النبوة لديه، وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم الدين في نقش للخليفة المقتفي لأمر الله، وما بين أعز الله نصره في نقش للخليفة المستضئ بأمر الله. وما بين رضوان الله عليه في نقش خاص بسيدنا على بن أبى طالب رضي الله عنه. وما بين رضي الله عنها وعن بنيها في نقش خاص بالسيدة فاطمة بنت أسد أم سيدنا علي بن ابي طالب. وما بين رضي الله عنه في نقش خاص بأولاد سيدنا على بن ابى طالب رضي الله عنه. وما بين رضي الله عنهم في نقش خاص ببعض أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم.